المجمل فى
تاريخ الدولة الإسلامية

من ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الخلافة الراشدة

إعداد
دكتور / عبد المعز فضل عبد الرازق
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى
دار الاتحاد التعاونى للطباعة بالقاهرة
١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

عبد الرازق ، عبد المعز فضل
المجمل فى تاريخ الدولة الإسلامية من ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الخلافة الراشدة
تأليف د / عبد المعز فضل عبد الرازق
ط ١ ـ القاهرة ٢٠٠٦ م
١ ـ المجمل فى تاريخ الدولة الإسلامية ـ تاريخ
أ ـ العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٣١١٢
لسنة ٢٠٠٦ م

الإهـــداء

إلى من نطمع فى شفاعته ، ونجتهد فى التمسك بسنته ، نرجو الله رفقته فى الفردوس الأعلى ، إلى من حرّض المؤمنين على القتال ، وغرس فى نفوسهم روح الجهاد ، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما ، إلى الرحمة المهداة ، والنعمة المسداه ، والسراج المنير :

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى روح والدى الطاهرة ، الذى حببنى فى طلب العلم ، وربانى على حب النبى وسيرته ، ورجانى ولداً صالحاً أدعو له .

إلى كل من له حق علينا من مشايخنا ، وإخواننا ، والأهل والولد .

أهدى هذا العمل المتواضع

مقدمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبى المصطفى ، وعلى أتباعه ممن أقتفوا أثره بإحسان إلى يوم الدين . . أما بعد :

فهذا مختصر نحسبه ـ إن شاء الله تعالى ـ وافياً ، وبسلماً شافياً فى أولى حلقات تاريخ العالم الإسلامى ، حيث يتناول فترة العصر الجاهلى ، وعصر النبوة ، وعصر الخلافة الراشدة ، وقد روعى فيه الإيجاز غير المخل ، وبيان أهم أحداث هذه الفترة ، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن قضايا هذه الفترة التاريخية فى عمر الدولة الإسلامية ، وقد اصطفينا فى هذا المختصر من الأدلة القرآنية ، واالسنة النبوية الصحيحة، وتصانيف السيرة النبوية وتاريخ الدولة الإسلامية ، مما ترجح لدينا صحته ، وما اطمأن له فؤادنا ، وقبلته العقول الراجحة ، والنفوس السوية ، تاركين الروايات والأقوال الضعيفة ، معرضين عن الشبهات والزيوف والافتراءات ، مدافعين عن الحق أينما كان ، وتأتى حساسية هذه الفترة التاريخية من كونها تمثل الصورة العملية ، والتطبيق الفعلى لعقائد الإسلام وشرائعه وأخلاقه ومنهاجه ، وترسم الصورة المثلى المتكاملة للمجتمع المسلم ، وتميز أعلام القدوة والأسوة الحسنة فى أبهى صورها ، وتجمع فى توافق عجيب ـ قلما يتكرر ـ بين القول والعمل ، والفكر والسلوك ، والمنهج والإتباع ، والنظرية والتطبيق ، والاعتقاد والفعل ، والتربية والتعليم ، والتخلية والتحلية ، والمثالية والواقعية ، زيادة على كونها تشريع يجب الفقه والعمل به ، وتضع المهناج الصالح للتطبيق الصحيح للحياة الفاضلة والمجتمع المنشود ، والعزة الغائبة ،

والسعادة المفقودة ، وتبرهن على صدق الإسلام ورسوله وصلاح رسالته ومنهاجه للتطبيق فى كافة مناحى الحياة رغم أمواج الشبهات الباطلة .

وبعد ، فإن هذا المختصر وُضع فى الأصل لطلاب الفرقة الأولى فى كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر ، والأولى بقسم الصحافة والإعلام ، وراعينا عدم التوسع لكون هذا المختصر مقدمات لابد منها قبل دراسة تاريخ الدولة الأموية الإسلامية ، والرجاء ، لافتين النظر للقارئ الكريم نحو المصادر والمراجع المرتبة بالموضوعات إذا أراد تفصيلاً وبسطاً .

فالرجاء أن يكون هذا المختصر على وجازته قد جاء محققاً للهدف المنشود والرغبة المرجوة من تأليفه ، وكل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم ﷺ ، وحسبنا حسن القصد ، وإخلاص النية ، ورجاء الثواب من الله وحده ، والحمد لله بنعمته تتم الصالحات .

المؤلف

المنوات / جيزة

رمضان ١٤٢٧هـ ـ أكتوبر٢٠٠٦م

(١) « أهمية الثقافة التاريخية »

- الدعوة الى الله تعالى مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الله من عباده ، وسفراؤه الى خلقه ، مهمة خلفاء الرسل من العلماء العاملين ، والربانيين الصادقين هى أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى، فإن ثمرتها هداية الناس الى الحق ، وتحبيبهم فى الخير ، وتنفيرهم من الباطل والشر ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت : ٣٣) .

- والدعوة إلى الله تعالى هى الدعوة إلى دينه خالصاً ، متكاملاً ، غير مثوب ولا مجزأ ، ومثل هذه الدعوة إلى هذه المعانى ليست بالأمر الهين الذى يقابل بالإغضاء والسكوت ، أو الموافقة والقبول .

- ولابد لهذه الدعوة العظيمة الشاملة من دعاة أقوياء ، يتناسبون مع عظمتها وشمولها ، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها فى أنفس الناس وعقولهم ، وضمائرهم ، بعد أن تشرق بها جوانحهم هم ، وتستضئ بها حياتهم .

- إن الداعية المنشود هو القوة المحركة لعملية الدعوة وحركة سيرها، والداعية وحده هو فى غالب الأمر ، الإدارة والتوجيه ، والمنهج والكتاب والمعلم والموجه ، وعليه وحده يقع عبء هذا كله .

ثقافة الداعية:

- والداعية الذى يريد أن ينتصر فى معركته على الجهل والهوى

والتسلط والفساد ، لابد أن يتسلح بأسلحة شتى لازمة له فى الدفاع والهجوم .

ـ أول هذه الأسلحة ولاريب «سلاح الإيمان» فبدونه يبطل كل سلاح ، وتفشل كل ذخيرة ، وليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل .

ـ وثانى هذه الأسلحة هو : «الأخلاق» وهى من لوازم الإيمان الحق وثماره ، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً .

ـ وثالث هذه الأسلحة هو : «العلم والثقافة» فهذه هى العدة الفكرية للداعية بجوار العدة الروحية والأخلاقية ، والدعوة عطاء وإنفاق، ومن لم يكن عنده علم أو ثقافة ، كيف يعطى غيره ، ففاقد الشئ لايعطيه ، ومن لم يملك النصاب كيف يزكى .

ـ إن الداعية اليوم فى أمس الحاجة الى مجموعة من الثقافات ، هى :

(١) الثقافة الإسلامية .
(٢) الثقافة اللغوية والأدبية .
(٣) الثقافة العلمية .
(٤) الثقافة الإنسانية .
(٥) الثقافة الواقعية .
(٦) الثقافة التاريخية .

والمطلوب من الداعية الناجح أن يتمثل هذه الثقافات ويهضمها ويكوّن منها مزيجاً جديداً طيباً نافعاً ، أشبه بالنحلة التى تأكل كل

الثمرات ، لتخرج منها بعد ذلك شراباً مختلفاً ألوانه ، فيه شفاء للناس[1].

.أهمية الثقافة التاريخية للداعية الإسلامي :

ـ التاريخ هو ذاكرة الأمة ، وسجل أحداثها ، وديوان عبرها ، والشاهد العدل لها أو عليها .

ـ ويهم الداعية المسلم منه تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة، وتاريخ الإنسانية ، بصفة عامة ، يهمه المواقف الحاسمة منه ، والملامح الرئيسية فيه .

ـ والداعية يحتاج إلى التاريخ لأمور :

أولاً : إنه يوسع آفاقه ، ويطلعه على أحوال الأمم وتاريخ الرجال، وتقلبات الأيام بها وبهم ، ويرى بعين بصيرته سنن الله كيف تعمل فى المجتمعات بلا محاباة ولا جور ، كيف ترقى الأمم وتهبط ؟ كيف تقوم الدول وتسقط ؟ كيف تنتصر الدعوات وتنهزم ؟ كيف تحيا الحضارات وتموت ؟ كيف ينجح القادة ويفشلون ؟ كيف تنام الشعوب وتصحو ؟ ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج: ٤٦) .

✽ ✽ ✽

ثانياً : أن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم ، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ، ونهاية

---

(١) ينظر د . يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ، ص ٣ ـ ٥ .

الكفر والجحود والفجور ، وجزاء الشاكرين لنعمة الله ، وعقوبة الكافرين بها ، وكيف يجنى الخير من يغرسه ، ويحصد من يزرع الشوك الشر ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:٣٦ ، ٣٧) وقال : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف:١١١) . وبعد قصة سبأ يقول تعالى ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (سبأ:١٧) .

- وعليه فالداعية يحتاج أن يستشهد للمعانى والقيم التى يدعو إليها بأحداث التاريخ ، ومواقف الأبطال وغير الأبطال ، فهذا أعون على تثبيتها فى العقول والقلوب ، فقد تُنسى الكلمات ، لكن الوقائع قلما تُنسى .

ثالثاً : أن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع الماثل ، ولاسيما إذا تماثلت الظروف ، وتشابهت الدوافع ، مما دفع بشهرة المقولة العربية «ما أشبه الليلة بالبارحة» والمقولة الغربية : «التاريخ يعيد نفسه» ، ويشير القرآن إلى هذا المعنى ، حين تتشابه الأقوال والمواقف والبواعث كما فى قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(البقرة:١١٨) .

* * *

رابعاً : فهم جذور القضايا المعاصرة بعيدة الأغوار ، ومن لم يعرف أغوار ماضيها ، لم يدرك أسرار حاضرها ، فالصدام بين الإسلام والنصرانية فى هذا العصر ، لايُعرف حق المعرفة مالم يُعرف صراع الحروب الصليبية ، ومادفع إليها من بواعث ، وما صحبها من دمار ، وماخلفته من آثار ، وما أسفرت عنه من نتائج ، بل لا يُعرف إلا من

بداية الصراع منذ موقعة «اليرموك» و«فتوح الشام ومصر وأفريقية» فى عهد الراشدين ، بل منذ موقعة «مؤتة» وغزوة «تبوك» فى عهد النبى ﷺ .

* * *

خامساً : إستيعاب أصول التاريخ الفكرى والعقلى ، والذى يرتبط بدوره بعمل الداعية واهتماماته ، مثل : «تاريخ الملل والنحل» و«تاريخ الفلسفات والمدارس الفكرية» و«تاريخ الإتجاهات الفكرية المعاصرة» و«تاريخ الفكر الإنسانى» .

* * *

ـ وجوب اليقظة فى المطالعة التاريخية :

ـ ينبغى عند التعامل مع وقائع التاريخ ، والإطلاع على الثقافة التاريخية مراعاة العديد من التنبيهات والتحذيرات ، منها :

١ ـ الاهتمام بوقائع العظمة فى التاريخ ، وألا يجعل همه الوعى بجزئيات التاريخ وتفصيلاته ، فذاك عمل أهل التخصص ، إنما عليه برؤوس العبر ، ومواقع العظمة ، والمغزى الأخلاقى للتاريخ ، واتجاهات الأحداث فيه ، وحصادها المعبر والناطق بلسان الحال .

٢ ـ أن يكون ذا وعى يقظ للوقائع التاريخية التى تخدم موضوعه، وتعمق فكرته ، وتقدم الشواهد الحية ، وليس من اللازم أن يجد هذه الوقائع فى كتب التاريخ المتخصصة ، فقد يلتقطها من القرآن ، وقد يلتقطها من كتب الآثار والحديث ، وقد يلتقطها من بعض كتب الأحكام مثل الخراج والأموال ، وقد يلتقطها من كتب الأدب ، أو كتب الحسبة، أو كتب الرحلات ، أو كتب الفتاوى وغيرها .

٣ ـ أن يعنى بسير الرجال ، ومواقف الأبطال ، من العلماء والدعاة المصلحون ، والصالحون ، وفى تاريخ الإسلام ثروة لا تقارن من السير تتمثل فيها الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، وتبرز الشخصية المسلمة مجسدة فى مواقف وأعمال ، كما نلمس ذلك فى كتب الطبقات والتراجم ، سواءً ماكان منها عاماً «كوفيات الأعيان» و «الوافى بالوفيات» أو ماكان منها خاصاً بفئة من الرجال ، كرجال الحديث ، مثل «طبقات ابن سعد» أو بالزهاد والصالحين ، مثل «حلية الأولياء» و «صفة الصفوة»، أو بالفقهاء وعلماء المذاهب ، وطبقات الأطباء ، والحكماء ، واللغويين والنحاة . . . إلخ .

ـ ولعل فى هذا الإتجاه تقديراً لكل من أسهم فى الميدان التاريخى فى الإسلام ، فالتاريخ ليس للملوك ولا لرجال السياسة وحدهم ، فكم من أفراد وفئات أخرى تسهم فى صنع التاريخ ، وتترك بصماتها فى حياة الناس أكثر من السلاطين والأمراء والزعماء والسياسيين .

٤ ـ أن يهتم بربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية ، ومن يطالع التاريخ الإسلامى بعمق ، يجد أن «المد والجزر» و«الإمتداد والإنكماش» و «النصر والهزيمة» و «الإزدهار والذبول» و«الغنى والفقر» كلها ترتبط بمقدار صلة الأمة الإسلامية بالإسلام أو انفصالها عنه ، وقربها من تعاليمه أو بعدها عنها ، فالعهد فى أيام الراشدين ، و«عمر بن عبد العزيز» و «هارون الرشيد» و «نور الدين» و «صلاح الدين» ، ترى التمسك بالإسلام يثمر عزاً وازدهاراً ، والعكس بالعكس فى فترات وعصور أخرى .

٥ ـ أن يكون محور تناوله للتاريخ الإسلامى هو الإسلام نفسه

دعوة ورسالة ، وأثره فى تربة الأجيال ، وتكوين الأمة الإسلامية ، وإقامة الدولة الإسلامية ، وبناء الحضارة والثقافة الإسلامية ، وتأثيره فى العالم كله ، وقدرته على الإنتشار عند القوة ، والمقاومة عند الضعف ، واستطاعته التأثير فى غالبيه ليعتنقوه عن رضا واختيار ـ كما فعل مع السلاجقة والتتار ـ واختزانه كل العناصر والطاقات اللازمة لإمداد أمته بروح الجهاد لإثبات الذات أو لاستعادتها .

٦ ـ وجوب إبراز الجاهلية العالمية والعربية ، التى كان يتردى فيهال العالم عامة والعرب خاصة ، على حقيقتها بلا إفراط ولا تفريط .

٧ ـ ضرورة الاهتمام بحركات الإصلاح والتجديد فى تاريخ الإسلام، ورجال التجديد الذين يبعثهم الله بين حين وآخر فى هذه الأمة ليجددوا لها دينها ، أياً كان لون هؤلاء الرجال واتجاههم ، فقد يكون منهم الخلفاء «كعمر بن عبد العزيز» أو السلاطين والأمراء «كنور الدين وصلاح الدين» أو الفقهاء والدعاة «كالشافعى والغزالى وابن تيمية وابن عبد الوهاب» وقد يكون المجدد فرداً ، وقد يكون جماعة أو مدرسة فكرية وإصلاحية ، يبرز بها اتجاه فى الإصلاح له سماته وخصائصه .

٨ ـ يجب الالتفات إلى دور الإسلام ورجاله وأثره فى حركات المقاومة والتحرر ، التى ظهرت فى العالم الإسلامى ـ على تباعد أطرافه ـ منذ وطئته جيوش الإستعمار ، فرغم المكر الصليبى ، ومحاولات التحذير والتضليل ، وذر الرماد فى عيون المسلمين ، ـ مع ذلك ـ لم يسلم الاحتلال من المقاومة الباسلة فى كل بلد دخله ، وأريقت الدماء ، وسقط الشهداء تلو الشهداء ، ولم تزل المقاومة على مر الزمن حتى كان التحرير ، وكان الإسلام بعلمائه ودعاته وراء هذا الجهاد للإحتلال

بريطانياً كان أو فرنسياً أو إيطالياً أو أسبانياً أو غير ذلك .

* * *

ويحذر الدعاة فى مجال الثقافة التاريخية مالايجب أن يغفلوا عنه:

أولاً : أن ماورد فى كتب التاريخ ليس صحيحاً مائة فى المائة ، فقد حوت الكثير من المصادر التاريخية مبالغات وتشويهات وتحريفات ، كذبتها الحقائق الثابتة ، والأدلة الناصعة فى مصادر أخرى ، وقد لعبت الأهواء والعصبية السياسية والدينية والمذهبية دورها فى كتابة التاريخ ، ورواية وقائعه وتصوير أبطاله إيجاباً وسلباً ، ونال تاريخ العصور الأولى للإسلام ، التى أنتشر فيها الإسلام فى الآفاق ظلماً وتشويهاً فى كتب التاريخ الأولى ، وإن قصد مؤلفوها حب الإستقصاء ، والخوف من أن يفوتهم شىء من العلم ، ولو من بعض النواحى ، **ولذا قال «الطبرى» فى مقدمة تاريخه :**

« فما كان فى كتابى هذا مما يستنكره قارئه ، أو يستشفعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً فى الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤت ذلك من قِبَلِنَا ، وإنما أتى من بعض ناقليه إلينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أُدى إلينا » .

وبهذا حمَّل دارس كتابه أن يفتش عمن نقلت عنهم الأخبار التاريخية فى كتب الرجال ، ومصادر الجرح والتعديل .

- ولاعزو أن قام فقيه كبير ، وإمام جليل ، هو «القاضى أبوبكر بن العربى» (٥٤٣هـ) بالدفاع عن الصحابة ، وتحقيق مواقفهم بعد وفاة الرسول -ﷺ- تحقيقاً علمياً موضوعياً ، فى كتابه القيم «العواصم من القواصم» .

ثانياً : الحذر من التفسيرات الباطلة لأحداث التاريخ ، تدفعها الأهواء والعصبيات والتيارات الفكرية ، لتوجيه وقائعه حسب الأهواء .

ـ فالمستشرقون يبيتون النوايا الخبيثة ، والاتهامات الباطلة للإسلام، فمحمد ـ عليه السلام ـ عندهم ليس برسول الله ، والإسلام ليس بدين الله ، وأصحاب النبى ـ ﷺ ـ مجموعة من المغامرين المتنافسين على الدنيا ، والإسلام نسخة محرفة عن اليهودية والنصرانية ، ولا حضارة إلا حضارة اليونان والرومان .

وفى سبيل ذلك يغفلون أحداثاً قيمة ، ويضخمون أحداثاً تافهة ، ويردون أخباراً صحيحة ، ويعتمدون أخباراً ضعيفة أو مكذوبة ، يتصيدونها من أى كتاب ، ولو كان «الأغانى» للأصفهانى .

ـ و«الماركسيون» يفسرون التاريخ تفسيراً مادياً طبقياً ، ويحاولون تطبيق ذلك على نشأة الإسلام وظهوره وانتشاره ، ويعتسفون فى ذلك كل الاعتساف ، ويحملون الأحداث مالا تحتمل بحال ، ويقسمون الصحابة إلى يمين ويسار ، ويديرون صراعاً موهوماً بينهما .

ـ و«السياسيون» يخلعون على حوادث التاريخ ، ومواقف رجاله ، ما عرفوه وخبروه من ألاعيب السياسة وحيلها ، ومواقف رجالها فى هذا، ويتخيلون العلاقة بين «عمر وخالد» أو بين «عثمان وعلى» أو بين «على وطلحة والزبير» من أمثال العلاقة بين الطامحين والطامعين من رجالات الأحزاب ، وتجار السياسة فى عصرنا ، ويفسرون المواقف والأحداث تبعاً لهذا التصور الظالم ، المتجنى على هذا الجيل المثالى ، الذى لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله .

ـ و«القوميون» من العرب يوجهون التاريخ الإسلامى كله وجهة قومية ، فالإسلام فى نظرهم «**انتفاضة عربية**» أو هو «**وثبة من وثبات العبقرية العربية**» ورسول الإسلام ذاته «**بطل عربى قومى**» جادت به أمة العرب على الإنسانية ، وأبطال الإسلام هم «**أبطال عرب**» والحضارة الإسلامية «**حضارة عربية**» .

إن للعرب فى الحقيقة فضلاً لا يُنكر ، منهم عصبةُ الإسلام الأولى، وهم حملة رسالته الأولون ، وهم مبلغوا القرآن والسنة إلى العالمين ، وفيهم ومنهم بُعث الرسول الخاتم ـ ﷺ ـ وبلسانهم نزل الكتاب الخالد، وفى أرضهم حرم الله وحرم رسوله ـ ﷺ ـ ولكن هذا شىء ، وتحريف التاريخ شىء آخر .

* * *

ثالثاً : الحذر من التعصب لفئة على حساب أخرى ، أو لشخص على حساب آخر ، فالتعصب الأعمى ، والإنسياق وراء الهوى فى الحكم على الأشخاص داء فتاك يقضى على مصداقية الدعوة والداعية ، وهو مما يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً .

فمن الدعاة من ينساق وراء تكفير شخصيات من الصحابة كمعاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، على حساب الأمام على ـ كرم الله وجهه ـ ويتهم عظماء الخلفاء باللهو والمجون «كهارون الرشيد» ، ويسب الدولة الأموية ، ويسقط دولاً من مصاف الحضارة الزاهرة كالدولة المملوكية ، وهذا إما من الجهل وقلة البضاعة وإما تعصباً ممقوتاً قل من ينجو منه .

وفى هذا المقام ينبغى أن تحتوى مكتبة الداعية فى التاريخ كتباً

تصوب الخطأ الشائع بغير الحق ، وتنصف تاريخ وحضارة وتراث هذه الأمة ، وترد الأمور إلى نصابها ، معتمدة على الحقائق لا على الأباطيل، ومستندة إلى المصادر الموثقة ، وإلى الأدلة الناصعة ، لا إلى مجرد الدعاوى الفارغة ، والأقوال المرسلة ، وترد كل قول إلى قائله ، وكل نقل إلى مرجعه ، مستفيدة من تحقيقات أهل العلم الثقات ، الذين محصوا الروايات ، ونخلوا الأقاويل ، وردوا المبالغات والتهويل ، ومن هذه المؤلفات : «العواصم من القواصم» لابن عربى (٥٤٣هـ) ، و«مقدمة ابن خلدون» لابن خلدون (ت٨٠٥هـ) و«أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» د/ إبراهيم شعوط ، و«تاريخنا المفترى عليه» د/ يوسف القرضاوى (دار الشروق) و«أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ» د/ جمال عبد الهادى (دار الوفاء / المنصورة) ، ونحو ذلك .

* * *

ـ رابعاً : الحذر من جهل بدهيات التاريخ الإسلامى ، خاصة الأحداث التى يحتاجها الداعية فى المناسبات والذكريات الإسلامية كحادث «الهجرة النبوية» و«المولد النبوى» و«الإسراء والمعراج» و«أحداث رمضان الكبرى كغزوة بدر ، وفتح مكة» وغير ذلك مما يجب على الداعية أن يتعرض لها فى حينها ، ويستخرج منها الدروس والعبر .

ولا يُقبل من الداعية الجهل بالإعلام والمشاهير فى التاريخ الإسلامى خاصة خلفاء الرسول ، وقادة الفتوحات الإسلامية الكبرى ، وأبطال المسلمين البارزين على مرِّ التاريخ الإسلامي ، ومن شأن الجاهل بهذه البدهيات أن يسقط من عين العامة قبل الخاصة ، حتى وإن استكمل الداعية كامل حلته الظاهرة .

روى الجاحظ (فى البيان والتبين) أنه دخل مبكراً يوم الجمعة

مسجد واسط ـ بالعراق ـ ورأى رجلاً عظيم اللحية ، يقول لغيره «إلزم السنة تدخل الجنة» قال : وماالسنة ؟ قال : حبُ أبى بكر بن عثمان ، وعثمان الفاروق ، وعمر الصديق ، وعلى بن أبى سفيان ، ومعاوية بن أبى شيبان ، قال : ومن معاوية بن أبى شيبان ؟ قال : رجلٌ صالح من حملة العرش ، وكاتب النبى ﷺ (١).

* * *

(١) يراجع بتفصيل د/يوسف القرضاوى (ثقافة الداعية ٨٨ ـ ٩٧) د.يوسف/تاريخنا المفترى عليه ١٧ـ٢٤/محمد رضوان طرائف لعرب ونوادرهم صـ١٦، مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٠م ، د. حسين مؤنس : تنقية أصول التاريخ الإسلامى (الكتاب) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥م ، د. حامد زيان غانم : دراسات تاريخية فى المصادر العربية ، صص ٦ ـ ١٦ .

أولاً : الدولة الإسلامية
فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام

أ ـ العرب والجاهلية .

ب ـ النبى ﷺ من الميلاد إلى البعثة .

ج ـ النبى والدولة الإسلامية حتى وفاته ﷺ .

* * *

أ. الجاهلية لعربية قبل الإسلام :

ـ الجنس العربى هو أشهر فروع الجنس السامى ، وأشدها محافظة على خصائص السامين ، واللغة العربية هى إحدى اللغات السامية ، ويرجع أصل التسمية الى «يعرب بن قحطان» أو الإعراب فى البيان بالكلام والفصاحة فى المنطق .

ـ وينقسم العرب إلى أقسام ثلاثة ، هى : العرب البائدة (مثل عاد وثمود) والعرب العاربة (أو اليمنية والسبئية) ، والعرب المستعربة (أو العدنانية) وجدهم الأعلى سيدنا إبراهيم عليه السلام .

الحياة العربية قبل الإسلام :

١ ـ الحياة السياسية :

ـ تكونت بعض مظاهر الحياة السياسية المستقرة لوفرة المياه والأمطار، مثل ممالك «معين ، سبأ ، حمير» باليمن ، بينما كانت أوجه الحياة السياسية غير مستقرة أو ثابتة فى إطار الدولة المنظمة فى الحجاز ، وكانت على شكل حكومات قبلية لها نظامها وتشكيلها وتشريعها الخاص

بها معتمداً على قانون القبلية .

- اشتهرت بعض مدن الحجاز بالإستقرار مثل «مكة ، يثرب ، الطائف» ، بينما كانت الحياة خارج هذه البلاد تعتمد على الترحال والإنتقال مع العشب والكلأ .

- قامت بعض الإمارات العربية فى شمال الحجاز بدور العمالة للدول الكبرى ، مثل إمارة «الحيرة» (ملوك المناذرة) ، بجوار تخوم الدولة الفارسية الكبرى ، وإمارة «الفارسية» بجوار تخوم الدولة الرومانية الكبرى .

٢ - الحياة الدينية للعرب قبل الإسلام :

- عرف العرب الدين الحقيقى منذ أقدم العصور ، فقد نزل على أرضهم الرسالات السماوية الكثيرة ، كرسالة هود عليه السلام (فى الجنوب) ورسالة «شعيب وصالح» فى الشمال ، وجاء «إبراهيم وإسماعيل» إلى قلب الجزيرة العربية فى (مكة) ، ولكن لبعد الأزمان وتدخل الأهواء انحرف التدين الحقيقى عند العرب إلى الإشراك بالله تعالى ، آخذاً العديد من الصور والأشكال منها :

١ - عبادة الأوثان والأصنام :

- فلما طال عليهم العهد ونسوا حظاً مما ذكروا به ، جاء «عمرو بن لحى الخزاعى» (سادن الكعبة) ببعض الأصنام من بلاد الشام ، فقدسها وقدسوها ، وأصبح لكل قبيلة صنم ، وانتشرت فى البيوت ، واشتهر منها عدداً معروفاً ، منها :

«هبل ، اللات ، العزى ، مناة ، سواع ، يغوث ، يعوق ، نسرا» فكانوا يعكفون عليها ، ويحجون إليها ، ويقدمون لها القرابين ، ويخصصون لها نصيباً من المآكل والمشرب والحرث والأنعام .

٢ ـ معتقدات جاهلية :

وبجانب هذه العبادة كان للعرب بعض المعتقدات الجاهلية ، تتلخص فى : «الاستقسام بالأزلام ، والإيمان بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين ، والتطير والتشاؤم» .

٣ ـ عبادة النجوم والكواكب :

ـ ظهرت هذه العبادة فى (حران وبلاد البحرين) وانتشرت كذلك فى البادية وعبد البعض (الشمس) خاصة فى اليمن ، وعرف عُبّاد النجوم «بالصابئة» .

٤ ـ المجوسية :

ـ وهى عبادة النار ، انتشرت فى بلاد فارس ، وعرفتها بعض قبائل العرب كتميم ، وبعض مناطق البادية العربية .

٥ ـ اليهودية :

ـ وهى رسالة سماوية تأسست فى فلسطين ، وانتقلت فى جماعة من اليهود سكنوا «يثرب وتحصنوا بخيبر» وانتشرت اليهودية فى بلاد اليمن فى عهد مملكة «حمير» لكنها لم تنتشر بين العرب بسبب طبيعة اليهود فى الإنغلاق على أنفسهم .

٦ ـ النصرانية :

ـ عرفت الرسالة النصرانية فى فلسطين ، ووصلت إلى بلاد العرب فى القرون الأولى ، واعتنق بعض «الغساسنة العرب» النصرانية ، وبعض ملوك «الحيرة» ، وبعض العرب الذين عرفوا هذه الرسالة فى رحلاتهم التجارية إلى بلاد الشام ، ودخلت النصرانية اليمن لقربها من الحبشة اكبر الدول الأفريقية النصرانية بعد مصر .

٧ ـ الحنيفية :

ـ وهو مذهب على بقايا دين إبراهيم ، لم يعترف بالأصنام ، وعظَّموا البيت والحرم والشعائر ، ونادوا بفضائل الأعمال ، واشتهر منهم جماعة ، منهم «زيد بن عمرو بن نفيل» و«قس بن ساعدة الأيادى» و«عبيد الله بن جحش» و«عثمان بن الحويرث» .

* * *

٢ ـ الحياة الإجتماعية العربية قبل الإسلام:

ـ تعرف الفترة التى سبقت الإسلام فى حياة العرب «بالعصر الجاهلى» لأنهم عاشوا دهراً فى كثير من النواحى بصورة جاهلية ، فكان من طبقاتهم الإجتماعية بعد « السادة والأحرر» و«الموالى» طبقة «العبيد» عاشوا حياة السخرة والذلة والصغار تحت أسيادهم ، وطبقة «الصعاليك» ممن لم يتقيدوا بنظام قبلى ولا عرفى ، وعاشوا على السطو والقتل ، والعيش فى الفلوات ورؤوس الجبال ، لافرق عندهم بين زمن وزمن أو موضع وموضع ، أو فرد وفرد .

ـ واشتهر «المجتمع الجاهلى» ببعض الأخلاقيات المستقبحة ، من

أشهرها «وأد البنات ، الزنا والدعارة ، شرب الخمر ، الربا ، الميسر والمقامرة ، العصبية القبلية ، الغزو والإغارة» .

ـ على إن الإنصاف يحكم العرب بعدد آخر من الأخلاقيات الحسنة والكريمة ، والشمائل الخالدة التى أقرها الإسلام فيما بعد ، منها «المحافظة على نقاء نسبه ، واحترام المرأة وتقدير مكانتها ، والإعتزاز بالأبناء ، والتضامن مع الأقارب ، والتمسك بمكارم الأخلاق من الكرم، والوفاء بالعهد ، والنجدة ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج الكروب ، والشجاعة والأنفة ، وعزة النفس ، والمضى فى العزائم ، والحكم والتؤدة ، والنقاء من الملوثات الحضارية» ونحو ذلك .

* * *

٤ ـ الحياة الثقافية للعرب قبل الإسلام:

ـ تكاد القراءة والكتابة تنعدم فى بلاد الحجاز ، ولم يتعد من يعرف القراءة والكتابة عند نزول القرآن عن عشرين شخصاً ، وكان العرب فى الجاهلية «أميون» ولكنهم مع ذلك كانوا أهل فطنة وذكاء وقوة حفظ .

ونبغ العرب فى عدة معارف طبيعة مثل «الجغرافيا ، والأنساب ، والقيافة والأثر ، والكهانة والعرافة ، والطب» .

ـ أما الميدان الذى برع فيه العرب فهو ميدان الفصاحة ، فأصبحوا فيه فرساناً لايُشق لهم غبار ، فبرعوا فى «الشعر» وتناولوا فيه كل الأغراض ، وبلغ الشعراء فيهم الآلاف ، وكانت القبيلة تفتخر بظهور شاعر فيها ، وكان بيت الشعر يرفع من شأن القبيلة أو يخفض بها .

ـ كما كان لهم فى ميدان الفصاحة «العظات البالغة ، والأمثلة السائرة» .

٥ ـ الحياة الإقتصادية العربية قبل الإسلام:

ـ اختلفت أوجه وصور الحياة الإقتصادية عند العرب قبل الإسلام، واستمرت خلاله ، واشتهرت الأوجه الإقتصادية على النحو التالى :

١ ـ التجارة :

ـ كانت أكبر وسيلة للحصول على حوائج الحياة ، وكانت غير آمنة تتعرض للسلب والنهب ، وكانت قريش صاحبة النصيب الأكبر فى هذا المضمار ، واشتهرت برحلة الشتاء ورحلة الصيف ، ونتج عنها ظهور طبقة من الأثرياء ، وتعقد الأسواق فى الأشهر الحرم ، ومن أشهر الأسواق «عكاظ» .

٢ ـ الزراعة :

ـ عرفت الزراعة فى بعض المناطق العربية خاصة أطرافها فى «اليمن» وبعض الواحات المنتشرة فى الجزيرة العربية «كالطائف» وكان يغلب على البادية رعى الغنم والإبل ، ويغلب على أهلها الانتقال قصداً لمواقع الكلأ والعشب .

٣ ـ الصناعة :

ـ كانت أغلب الصناعات صغيرة فى حدود ماتحتاجه البيئة العربية، مثل «الحياكة، والدباغة، والغزل، وصناعة السيوف، والسلال، والجرار» ونحو ذلك .

وعلى الرغم ـ كما رأينا ـ مما تميزت به الجاهلية من قيم ومعان كريمة ، وبعض مظاهر التحضر فى هذا الجانب أو ذاك ، فإن أكثر جوانب هذا المجتمع كانت تعانى من التفكك والضعف والإنحلال ، بحيث لا يمكنها النهوض والتطور ، وتشييد حضارة من تلقاء نفسها ، ولا بما كانت عليه ، ذلك أنه لا الحرب ، ولا السلب ، ولا المقامرة ولا افتقاد الأمن ، ولا العصبية العمياء ، ولا عبادة الأصنام ، مهما رافقها من فروسية وشجاعة وكرم وتعشق للحرية ، وإباء للضيم ، وتحصيل شىء متواضع من أسباب التمدن ، ليس كل ذلك بصالح أن ينشىء حضارة ، أو ينتج مدنية ، وإنما سبيل تلك الحضارة ، ونبع هذه المدنية مصدر آخر، هو «رسالة السماء» التى استشرقت لها الإنسانية ، وترقبها الناس فى أنحاء الأرض ، بتعاليمها السامية ، ومبادئها الرفيعة ، ومثلها العليا العالية ، هى الرسالة التى جاءت فوحدت المتفرق ، وعلمت الجاهل ، ومدَّنت المتأخر ، وقوَّمت المعوج ، وأمَّنت العدل ، ورقت بالعقل ، وحضت على العلم ، وحثت على مكارم الأخلاق ، ودعت الى عبادة الله الواحد الخلاَّق(١).

ب ـ النبى (صلى الله عليه وسلم) من الميلاد إلى البعثة :

ـ مرّ عليه السلام بعدة مراحل وأحداث ، لكل منها بعض الملامح، وكلها له الأثر الحميد ، والذكر المديد ، فى سبيل الإعداد الإلهى لخاتم الأنبياء المرسلين .

(١) انظر مفصلاً : الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج٢ ، ابن عبد ربه العقد الفريد ج٢ ، غوستاف لوبون حضارة العرب ص٨٧ ، ديو رانت قصة الحضارة ج٢ مجلد٤ ، د . أبو زيد شلبى تاريخ الحضارة ص ص١٧ ـ ٣١ ، د محمد جبر أبو سعدة : تاريخ الحضارة ص ص١٤ـ٣٤ ، ويراجع بصورة عامة الشيخ أبوالحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

أولاً: مرحلة الطفولة إلى الصبا: (من الميلاد حتى سن ١٢)

أ ـ شرف النسب والإصطفاء :

ـ ولد (عليه السلام) فى يوم الإثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل ، سـ٥٧١م ـ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ... بن عدنان ... بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وهو نسب شريف قال عنه عليه السلام : «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم» (مسلم فى كتاب الفضائل) .

ب ـ ولادته ورضاعته :

ـ تزوج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب فى سن ثمانى عشر سنة ، وبعد أن دخل عليها ، لم يلبث أن خرج للتجارة إلى الشام، وفى عودته عرج لزيارة أخواله فى يثرب ، وتخلف لمرضه، ثم ما لبث أن مات ، ووصل خبر وفاته إلى والده ، الذى حزن عليه كثيراً مع جميع أهل مكة ، وكانت آمنة فى حملها لشهرين ، وبعد تمام الحمل، وضعته السيدة آمنة ، ولم تكن فى حملها وولادتها كباقى النساء فى السهولة والألم .

ـ وفى اليوم السابع خُتن وسمى محمداً ، وأقيم حفلٌ بهذه المناسبة حضره سادات قريش ، ورضع عليه السلام قبل المرضعات من أمه، ورضع من ثويبه أياماً ، ثم كان فى حضانة ورضاعة السيدة حليمة السعدية لعامين ، وكانت البركة هى الظاهرة الواضحة لمحمد فى بادية بنى سعد .

ج ـ حادثة شق الصدر :

ـ عاد ﷺ مع السيدة حليمة إلى مكة ، لكنها عادت مرة أُخرى بعد الإتفاق المشترك مع والدته على البقاء مرة أخرى ليتربى بعيداً عن صخب مكة وطبيعتها ، ومكث عامين آخرين وقبل ثلاثة حدثت فيها حادثة شق الصدر المشهورة .

د ـ وفاة السيدة آمنة : (فى سن ٦ سنوات)

ـ عاد ﷺ بعد هذه الفترة الى مكة ليعيش فى كنف والدته ، ولكنه لم يلبث معها كثيراً إذا سريعاً ما وافاها الأجل فى زياراتها لوالده فى يثرب .

هـ ـ محمد ﷺ فى كفالة جده : (حتى سن ٨ سنوات)

ـ عاش ﷺ فى كفالة جده بعد وفاة أمه ، ووجد من الحب والحنان والحدب ما خفف عليه ألم اليتم ، ثم توفى جده بعدما أربى على مائة وعشرين عاماً .

و ـ فى كفالة عمه «أبو طالب» :

ـ ثم كانت رعاية عمه له ، مع ماكان يعانيه من كثرة العيال ، وقلة ذات اليد ، لكنه خفف عنه ، وأعز جانبه ، وبسط عليه حمايته ، حتى بعد ظهور البعثة النبوية .

ثانياً : من الصبا حتى الشباب : (من سن ١٢ إلى ١٨ سنة) :

بدأ محمد ﷺ فى هذه المرحلة يرتب لنفسه حياة جديدة ، من أهم ملامحها :

أ ـ الإشتغال بالتجارة :

ـ عمل فى التجارة مع عمه فى رحلته الأولى إلى بلاد الشام ، ولكنه رجع بعدما تقابل مع بحيرا الراحب فى «بصرى» والذى أخبر عمه بأن هذا الفتى سيكون له شأن عظيم ، وحذره من اليهود وشرهم إن علموا بأمره .

ب ـ الإشتغال بالرعى :

ـ لم تكن رحلة التجارة ناجحة بالقدر المطلوب ، وحاول محمد ﷺ ـ أن يعمل فى مجال آخر ، حتى لا يكون عبئاً ثقيلاً على عمه، فاشتغل يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط .

ج ـ البعد عن اللهو وأمر الجاهلية :

ـ كانت رعاية الله تعالى ومعيته تحفظ محمداً من أمر الجاهلية ، وعبثها ، ومن مظاهر ذلك أن الله «حفظه من اللهو والعبث وسماع الأغانى ، وستر عورته ، وحفظه من عبادة الأصنام ، وتقديم القرابين لها» .

د ـ اشتراكه ﷺ فى حرب الفجار : (سن ١٦ سنة)

ـ وهى حرب بالنسبة لقريش دفاعاً عن قداسة الأشهر الحرم ، ومكانة أرض الحرم ، ضد قيس عيلان ، واستمرت أربع سنوات ، واشترك ﷺ فى هذه الحرب حيث كان ينبل لعمومته ، أى يجهز لهم النبل للرمى .

هـ ـ حلف الفضول :

ـ وهو حلف لقبائل قريش ، تعاهدوا فيه (فى دار عبد الله بن

جُدَّعان) على نصرة كل مظلوم بمكة من أهلها وغيرها ، وهو حلف حضره ﷺ وافتخر به .

* * *

ثالثاً : حياة الشباب حتى البعثة واكتمال الرجولة : (من سن ١٨ إلى سن ٤٠) .

ـ شب محمد ﷺ فى هذا السن ، وتميز بين قومه بعدد من الملامح ومجريات الأحداث ، منها :

أ ـ مكارم أخلاقه :

ـ فقد عرف ﷺ بين قومه فى هذا السن سمو أخلاقه ، وكريم شمائله ، والبعد عن الفواحش ، حتى اشتهر بينهم «بالصادق الأمين» .

ب ـ عمله فى تجارة السيدة خديجة :

ـ ظل ﷺ يعمل فى حرفة الرعى حتى شب ، وأصبح يبحث عن عمل يناسب سنه ، فتوسط له عمه «أبو طالب» لدى السيدة خديجة ليعمل فى تجارتها ، ووافقت ، واشترك فى رحلة تجارية إلى بلاد الشام، وعادت أكثر ربحاً ، وأوفر حظاً ، مما دفع بالإعجاب به .

ج ـ زواجه من السيدة خديجة (رضى الله عنها) :

ـ منذ عادت قافلة الشام التجارية ، وبعدما سمعت السيدة خديجة من شمائله وأخلاقه وطباعه ، حفَّزها ذلك للتفكير فى الزواج منه ، ودفعت إليه بمن يفاتحه فى ذلك ، فوجدت قبولاً ، وتم إتمام الزواج بمشاركة سادات قريش ، وكان سنه (٢٥) سنة ، وسنها (٤٠) سنة ، أنجب منها من الأولاد ستة ، ورفرف على بيتهم السعادة ، والتطهر من أدران الجاهلية .

هـ ـ المشاركة فى بناء الكعبة والتحكيم :

ـ للكعبة قداسة عند العرب منذ القدم ، واختلف العلماء حول بداية وأول من بناها ، لكن الثابت تاريخياً أن إبراهيم واسماعيل رفعا قواعد البيت ، وانتقلت الزعامة حول البيت حتى وصلت الى قريش ، وكانت قد تعرضت للعوادى والتصدع ، واتفق العرب على تجديدها ، وتوزع العمل على القبائل ، لكنهم اختلفوا حول من يضع الحجر الأسود فى مكانه ، وكادت معركة تنشب بينهم ، لولا أنهم حكموا بينهم محمدا ، فحكم بينهم بما ارتضوه جميعاً ، مما كان فيه حقناً للدماء والمعارك .

و ـ الإختلاء فى غار حراء :

ـ بعد زواج النبى ﷺ من السيدة خديجة أغناه الله تعالى ، فقد أدار تجارة زوجه ، واتسع له الوقت ، وتوفر له الزاد ، مما شجعه على الإختلاء فى غار حراء ، وكانت هذه الخلوة مناسبة للتفكير بعيداً عن صخب مكة وضجيجها ، وتشجع على صفاء النفس ، وتنقية الفكر ، حتى كان يرى الرؤيا كأنها فلق الصبح ، وبينما هو كذلك حتى جاءه الوحى من الله تعالى بالقطرات الأولى من الفيض الإلهى ، ليبدأ فصلاً جديداً من فصول حياته الدعوية والجهادية ، وليغير وجه الأرض ، ويعدل [illegible] تاريخ [illegible]وج نحو الصراط المستقيم .

* * *

ج : النبى (صلى الله عليه وسلم) من البعثة حتى وفاته :

ـ **نزول الوحى** : نزل الوحى على النبى ﷺ ، وكان ذلك إيذاناً بإعلامه أنه المصطفى لتبليغ رسالة الإسلام ، وكان ذلك إيذاناً بمواجهة

المجتمع الجاهلى ، والتعامل بحكمة وفطنة حسب الواقع العام .

ـ **الدعوة السرية** : فلم يكن الظهور بدعوة الإسلام أمراً سهلاً ، وكان لابد من تكوين الجيل الذى يحمل هذه الرسالة ، ويستطيع التضحية فى سبيلها ، واستطاع النبى ﷺ ـ تكوين خلية أولى من كبار وأوائل الصحابة ، كانوا هم النواة الحركية المنظمة التى قامت عليهم الدعوة والدولة الإسلامية ، بما رباهم ﷺ عليه بمنهج تربوى وقرآنى فريد فى دار «الأرقم بن أبى الأرقم» .

ـ **الجهر بالدعوة** : فشا ذكر الإسلام بمكة ، وسرعان ما كانت الدعوة عامة وصدع بها ﷺ جهاراً نهاراً ، بينما وقفت مكة موقف الاستنكار والاستنفار العام ، لما وجدته فى الدعوة من مخاوف على مكانتها وامتيازاتها .

ـ **أساليب قريش فى المواجهة** : وقفت قريش أمام الدعوة الجديدة بعدة طرق وأساليب شتى ، تتلخص فى «الشكوى وطلب الكف عن الدعوة ، المساومة والترغيب فى الملك والإمارة ، والتشويه والسخرية ، والتعجيز ، والمداهنة والمراوغة ، والإستعانة باليهود فى حرب الدعوة ، والدعوة للصد عن سماع القرآن الكريم ، والتهديد المباشر ، والتعذيب ، ومحاولات الإغتيال ، والمقاطعة والحصار الإقتصادى» .

ـ **الهجرة إلى الحبشة** : فى رجب س٥ من البعثة هاجر جمع (١٢رجل و٤نسوة) إلى الحبشة ، حماية للدعاة ، والبحث عن موطأ قدم للدعوة الإسلامية فى مكان آخر غير مكة ، وكانت هذه هى الهجرة الأولى ، حيث عادوا إثر إشاعة كاذبة عن هدنة بين قريش والنبى ـ ﷺ ـ ثم كانت الهجرة الثانية س٧ من البعثة (٨٣رجلاً ، ١٢امرأة) ،

وحاولت قريش سحب هذا التجمع الكبير بمعرفة عمرو بن العاص لكنها باءت بالفشل ، واستمر هذا الجمع حتى السنة السابعة من الهجرة .

ـ عام الحزن سـ١٠ـ من البعثة : بعد انتهاء الحصار الإقتصادى ، وبداية استئناف الحياة الإسلامية فى مكة ، عاش ﷺ عاماً حزيناً سماه (عام الحزن) والذى شهد وفاة سنده ونصيره عمه «أبو طالب» ثم زوجه (خديجة) رضى الله عنها ، مما جعله عرضة لأذى قريش ، وانفرادها به .

ـ طلب النصرة وتأمين الدعوة : أصبحت الدعوة فى شبه حصار فى مكة ، بعد وفاة العم والزوج ، فاتجه النبى ـﷺـ لموقع جديد تنطلق فيه الدعوة الإسلامية ، فكانت رحلة (الطائف) لكنها لم تنجح ، ولم يرجع منها إلا بإيمان الفتى عدَّاس ، ونفرٍ من الجن ، ثم رجع إلى مكة فى حماية (المطعم بن عدى) ، ثم حاول الحصول على حماية الدعوة من القبائل العربية ، حتى كان موسم حج سـ ١١ـ من البعثة عندما التقى بوفد من يثرب وكانوا ستة نفر ، على رأسهم (أسعد بن زرارة) ورجعوا إلى المدينة ، ولم يبق منزل فى يثرب إلا وفيه ذكر عن الإسلام ونبى الإسلام ، فلما كان موسم حج سـ١٢ـ من البعثة ، التقى النبى ﷺ بوفد الأنصار فى العقبة ، وكانوا (١٢) من الرجال ، وتمت البيعة التى عرفت ببيعة العقبة الأولى ، أو بيعة النساء (أى التى ليس فى بنودها ذكر عن الحماية والقتال) ، وقامت على أساس الإيمان بالله ، وفائل الأخلاق، ثم كان للإسلام فى يثرب سفيراً طار ذكره فى الآفاق ، سفير الإسلام الأول مصعب بن عمير ، الذى استطاع استقطاب عظماء وشباب يثرب إلى الإسلام ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى كان موسم حج سـ١٣ـ من البعثة ، فكانت الثمرة بيعة كبرى ، عرفت بإسم

«بيعة العقبة الثانية» مع (ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان) تضمنت البيعة على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وحماية الدعوة والداعية ، فاطمأن ﷺ على الإسلام ودولته ، فقد وجد مكاناً تنطلق منه مكاناً دعوة الإسلام ودعوته ، فأذن لصحابته بالهجرة إلى يثرب لبناء الصرح المنشود.

ـ **الهجرة إلى المدينة** : أصبحت (يثرب) بالبيعة الكبرى قلعة الإسلام المستقبلية ، وتنادى المسلمون من كل مكان : هلموا إلى يثرب، وبدأ المسلمون يهاجرون ، وبدأت مكة تستشعر خلو الديار ، والتجمع فى مكة ، فراحت تأخذ الوسائل لمنع هذه الهجرة ، وعملت على التخلص من النبى ﷺ ، لكنها فشلت فى ذلك ، ونجح النبى ﷺ فى الهجرة إلى يثرب ، واتخذ أسباب النصر فى التخطيط لها ، حتى وصل إلى يثرب ، وقد تجمعت الجموع فى انتظاره ، والترحيب به من أنصار المدينة .

* * *

ـ **المسلمون فى المدينة** : بدأ الإسلام مرحلة جديدة بعد الهجرة، مرحلة بناء الدولة الإسلامية ، والتى قامت على الأسس الواضحة المعالم: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبناء المسجد ، ووثيقة التحالف مع القوى الأخرى فى المدينة ، ثم بدأت الدولة الإسلامية مرحلة المواجهة العسكرية مع أعداء الدولة الإسلامية ، فكانت السرايا والغزوات ، ومن أشهرها غزوة بدر (سـ٢هـ) ، أحد (سـ٣هـ) ، الخندق (سـ٥هـ) ، وتبليغ رسالة الإسلام إلى الملوك والأمراء فى هذا الوقت (سـ٦هـ) ، غزوة خيبر (سـ٧هـ) ، ثم كان الفتح الأكبر والفتح الأعظم، وضم مكة إلى سيادة الدولة الإسلامية فى فتح مكة (سـ٨هـ)،

ثم ضرب كل يد خارجية ضد الدولة الإسلامية ، فكانت غزوة مؤتة (سـ٨هـ)، وغزوة تبوك سـ٩هـ .

ـ كل ذلك والنبى ﷺ يبنى الدولة ، ويربى الدعاة على منهج القرآن ، والتوجيه النبوى ، فرسم معالم الدولة الإسلامية ، والشخصية الإنسانية المرجوة فى شتى المجالات السياسية والإجتماعية ، والإقتصادية، والعسكرية ، حتى غدا الإسلام سيداً وسلطاناً فى شبه الجزيرة العربية حتى حدود العراق وبلاد الشام ، ونظم دستوراً خالداً يضمن سعادة البشرية إذا أخذت به «تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى» .

ـ إن هذه السنوات القليلة التى تغير فيها العرب من جاهليتهم وتخلفهم ، وانتقلوا من رعاة الإبل إلى قادة الأمم ، وأصبح لهم دولة ذات سيادة ، ترهب أعداءها ، ويخشاها عدوها ، وتبسط سلطانها فى أسرع وقت ، وتحمل للإنسانية حضارة خالدة ، هذه السنوات القليلة كانت سنوات جهاد وصبر وتضحية وإخلاص خالد ، لصاحب الرسالة، ومؤسس الدولة الإسلامى ، عظيم العظماء ، محمد ﷺ .

ـ لذا فقد كان الخطب عظيماً على المسلمين فى ربيع الأول (سـ١١) من الهجرة ، عندما توفى النبى ﷺ ، وقد أدى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وجعل من الشعب العربى شعباً جديداً ، كان له أعظم الأثر فى تغيير وجه التاريخ الإنسانى بالإسلام عقيدة وعبادة وتشريعا ونظما وفكراً ودستوراً كاملاً شاملاً لجميع جوانب ومناحى الإنسانية .

ـ وقد نزلت وفاة الرسول ـ ﷺ ـ على الصحابة كالصاعقة ، هزت كيانهم ، وصدعت بنيانهم ، وزلزلت أركانهم ، حتى كاد أن يحجب عنهم إدراك هذه الحقيقة الخالدة ، أن الحياة مهما طالت لابد من نهاية ، وأن العمر مهما إمتد فلابد من الموت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر ٣٠) .

فكان ما كان من قصة عمر بن الخطاب وموقف أبى بكر الصديق، وسرعان ما عاد المسلمون إلى رشدهم ، وفاقوا من هول الصدمة ، وسلموا بقضاء الله تعالى ، وهيأوا أنفسهم لتحمل الرسالة ، والحفاظ على الدعوة والدولة ، فكان العمل على تنصب خليفة يسد الفراغ ، ويملأ المكان ، فيما عرف فى التاريخ الإسلامى «بعصر الخلفاء الراشدون»(١).

---

(١) للمزيد عن أحداث عصر النبوة ينظر بالتفصيل فى مصادرها ومراجعها ، ومنها:

ابن الأثير: الكامل فى التاريخ (أجزاء عصر النبوة) ، ابن الجورى : المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك (ج٣ ، ٤)،ابن حزم الأندلسى:جوامع السيرة النبوية،الذهبى : تاريخ الإسلام ، (عصر النبوة) ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، الشمهودى : وفاء الوفا بأخبار المصطفى ، السهيلى : الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية ، ابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، الطبرانى : تاريخ الرسل والملوك (أجزاء عصر النبوة) ، القاضى عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ابن القيم الجوزية : زاد المعاد فى هدى خير العباد ، ابن كثير : البداية والنهاية (أجزاء عصر النبوة) ، المقريزى : إمتاع الأسماع، ج ١ .

ومن المراجع ينظر : أ.د: محمد أحمد حسب الله ، ود. محمد الخطيب :

ثانياً: عصر الخلفاء الراشدين

ـ لاشك أن عصر الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ يُعد أزهى عصور التاريخ الإسلامى بعد عصر النبوة ، ويعد حكمهم امتداداً لحكم النبوة ، فقد قاموا بواجبهم خير قيام ، وكانوا أمناء فى نيابتهم عن النبى ﷺ فى حفظ الدين وسياسة الدنيا ، إذ ساروا على نهجه

= السيرة النبوية (القاهرة) ، د. هاشم عبد الراضى محمد : قضايا ومواقف من السيرة النبوية (القاهرة) ، مهدى رزق الله : السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية (مركز فيصل للبحوث) ، أحمد أمين : فجر الإسلام (النهضة) ، د.على حبيبة : عصر الرسالة (م الشباب) ، فى سيرة الرسول (م الشباب) ، د/ حسين الحاج : حضارة العرب فى عصر الجاهلية (بيروت) ، سعيد حوى : الرسول ، (م وهبة) ، الخضرى : إتمام الوفاء ، نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ، محمود شيت خطاب : الرسول القائد (دار القلم) ، عبد الكريم الخطيب : النبى محمد (دار الفكر) ، د . عماد الدين خليل : دراسة فى السيرة (بيروت) ، د.محمد محمد زيتون : السراج المنير ، د.مصطفى السباعى : السيرة النبوية دروس وعبر (القاهرة) ، د. مصطفى محمد مراد : سيرة الرس،ل ، (دار الفجر) ، محمد جمال الدين سرور :قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة محمد ، أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى، ج ١ (وهبة) ، جمال عبد المنعم الكومى : صحيح السيرة النبوية (القاهرة) ، إبراهيم العدوى : سيرة رسول الإسلام (م الشباب) ، عبد الحليم عويس : فى ظلال الرسول ، (دار الاعتصام) ، منير الغضبان : المنهج الحركى للسيرة النبوية ، الكاندوهلى : حياة الصحابة (أجزاء) ، المباركفورى : الرحقيق المختوم لجنة من أساتذة جامعة الأزهر : دراسات فى السيرة النبوية (طبع مطبعة جامعة الأزهر) . . . الخ.

ﷺ ، ولم يحيدوا عن الطريق المستقيم الذى ارتضاه الله لعباده .

ـ وقد بلغت الحضارة الإسلامية فى عهدهم أوجها ، فتحقق المعنى السامى الراقى للحضارة بتحقيق السعادة الحقيقية للإنسان ، تلك الحضارة التى تصفو فيها الروح ، وتسموا فيها النفس ، وتنتعش فيها القيم والفضائل .

ـ بعد وفاة الرسول ﷺ :

ـ انتقل النبى ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى ، يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة ، دون أن يوصى بالخلافة لأحد من بعده ، ودون أن يترك نصاً صريحاً على نظام يلتزمونه فى ولاية الأمر بعد وفاته ـ لكن الشريعة الإسلامية وضعت الضوابط والأسس والقواعد الكلية التى ينبغى أن يقوم عليها الحاكم فى حكمه للمسلمين فى أى زمان ومكان ، ومنها :

١ ـ عدالة الحاكم : ﴿**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾ (النساء: ٨٥)

٢ ـ طاعة أولى الأمر من المؤمنين : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (النساء: ٥٩)

٣ ـ رابطة الشورى وأساس المودة والإخلاص عماد العلاقة بين الحاكم والمحكوم : ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ (آل عمران: ١٥٩) .

ـ مؤتمر السقيفة :

ـ وقبل أن يوارى الجثمان النبوى الطاهر مثواه ، وفى الوقت الذى كان فيه أهل بيته وصحابته مشتغلين بتجهيزه ﷺ ، أسرع الأنصار

بالإجتماع فى سقيفة بنى ساعده (بطن من الخزرج) ، وسقيفتهم كانت بمثابة «دار الندوة» فى «مكة» ،كادوا يختاروا «سعد بن عبادة الأنصارى» الخزرجى خليفة للمسلمين .

- وقد اجتهد الأنصار فى ذلك ، وأسرعوا فى اتخاذ القرار من باب أنهم رأوا أن البلد بلدهم ، وأن المهاجرين ربما تركوا المدينة بعد رسول الله -ﷺ- ورجعوا إلى بلدهم مكة ، وينبغى سد الفراغ الكبير الذى تركه النبى -ﷺ- خوفاً من الفتنة ، أو تفرق الكلمة فى هذا الوقت العصيب .

- كما كانت الدولة الإسلامية محاطة من كل جانب بأعداء الإسلام ، والذين سيرون - بلا شك - فى وفاة الرسول ، فرصة سانحة لتحقيق ما فشلوا فى تحقيقه خلال حياته ﷺ ، وهذا يتطلب وجود خليفة على وجه السرعة ليقوم بما يفرضه عليه الموقف من قرارات تجاه أعداء الإسلام .

- ولذا فقد كان اجتهادهم مجرد عن الهوى والتعصب وحب السلطة ، وسرعة اقتضتها مصلحة الإسلام والمسلمين كما رآها الأنصار وقتئذ .

- ولا يمكن مع ذلك أن يُغفل للمهاجرين ، ويُلغى من رصيدهم ثلاث عشرة سنة قضوها مع الرسول فى مكة تحملوا فيها الجهاد والعناء فوق ما يطيقه البشر .

- كما كان القرآن ينزل على الرسول فى تلك الفترة التى قضاها المهاجرون فى مكة ، وسمعوا فيها أحاديث الرسول ﷺ ، وكان هناك تربية وتزكية وإعداد للقلوب والأرواح ، وكل هذا يحسب للمهاجرين .

ـ كما كانت الهجرة فى ذاتها تضحية عزيزة بالأوطان والأهل والمتاع، تحملها المهاجرون من أجل الإسلام وهذا يحسب للمهاجرين أيضاً .

ـ وهم مع ذلك كله قد تحملوا ما تحمله الأنصار من جهاد وتضحية فى الفترة المدنية من حياة النبى (ﷺ) .

ـ كل هذا يرجح كفة المهاجرين على الأنصار بموازين الدين والواقع والجدارة وإن كان هذه كله بطبيعة الحال لا يقلل من مكانة الأنصار وفضلهم .

ـ لهذا تذكر المصادر التاريخية أن «أبا بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبا عبيدة بن الجراح» الثلاثة من المهاجرين ، ذهبوا إلى السقيفة وهنا دار حوار فكرى رائع ، هو صورة مشرقة ومشرفة لممارسة الحرية بأوسع معانيها ، وتطبيق رائع لمبدأ الشورى ، وفى هذا الحوار تبودلت الحجة بالحجة ، والرأى بالرأى حتى ظهر وجه الحق فانقاد له الجميع .

ـ وتم هذا الحوار فى الختام بمبايعة رفيق دربه ، وصديق حياته ، وهو «أبو بكر الصديق» ـ رضى الله عنه ـ وكان ذلك فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله ﷺ فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١١هـ .

ـ وفى اليوم الثانى من بيعة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى سقيفة بنى ساعدة ، دعى إلى الصلاة فى مسجد رسول الله (ﷺ) ووقف أبو بكر على المنبر ، وقام عمر وتكلم بين يديه ، فكان مما قاله : «وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوا» .

- ثم تكلم أبو بكر - رضى الله عنه - فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : «أما بعد أيها الناس : فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله البلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله» .

- تمت البيعة العامة فى المسجد لأبى بكر - رضى الله عنه - واتحدت قلوب الصحابة حوله ، وعاش المسلمون تحت خلافته فى عزة ورفعة وخير وبركة .

* * *

- أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) الخليفة الأول (١١ ق.هـ / ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤م):

- هو «عبد الله بن عثمان بن عامر — بن تيم بن مرة ، من قريش، وكانت كنيته فى الجاهلية كما هى فى الإسلام (أبا بكر) ، ولقب بالصديق ، لتصديقه النبى -ﷺ- فى مواقف كثيرة ، ولقب بالعتيق لعتقه من النار ، وهو أصغر من الرسول ﷺ بنحو عامين ، وكان من وجهاء قريش وأشرافهم وأحد رؤسائهم فى الجاهلية ، ولم يسجد لصنم قط ، وكان يشتغل بالتجارج فى الجاهلية ، وله مال كبير بلغ أربعين ألف درهم .

ـ حياته فى الإسلام :

ـ ما إن بعث النبى ـ ﷺ ـ برسالته ، حتى آمن أبو بكر بدعوته ، فكان أول من آمن من الرجال ، وأسلم على يديه كثيرون ، منهم عثمان بن عفان ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وغيرهم ، رضى الله عنهم أجمعين.

ـ وظل ملازماً للنبى ـ ﷺ ـ قبل هجرته ، ولما كانت الهجرة ، كان له شرف الصحبة لرسول الله فى الهجرة ، ولم يتخلف عن غزوة من الغزوات وتولى إمارة الحج فى السنة التاسعة من الهجرة ، وصلى بالناس عندما اشتد المرض برسول الله (ﷺ) .

ـ وكان رضى الله عنه ، فصيح اللسان ، قوى الحجة ، متواضعاً، لين العريكة ، إذا مُدح كان يقول : «اللهم أنت أعلم بى من نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون» ، وكان كريماً سخياً فى سبيل الله ، ينفق من مال الله ويحرر العبيد ، فكان لذلك وغيره أحب الصحابة لرسول الله ـ ﷺ ـ .

* * *

ـ أبرز أعماله (رضى الله عنه) :

ـ أصبح الصديق هو الخليفة ، والمسئول عن أمة محمد (ﷺ) ، وقائماً مقام رسول الله فيها ، فكانت له أعمال جليلة ، ومواقف خالدة، منها :

١ ـ تسيير جيش أُسامة بن زيد لأرض البلقاء جنوبى الأردن ،

ورجعت الحملة منتصرة ، وقد أمّنت الحدود بين العرب والروم .

٢ ـ مقاومة حركة الردة : التى ظهرت عقب وفاة الرسول ـ ﷺ ـ على يد جماعات من المنافقين والمنتفعين ، وعرضوا الأمة لخطر عظيم ، وظهرت الحركة فى صورة من ادعى النبوة واستباحوا الكذب على الله وعلى الناس ، ومنهم من اكتفى بترك الإسلام ، ومنهم من منع ركناً من أركان الإسلام ، وارتدت أعداد كبيرة من مناطق اليمامة ، والبحرين وعمان ، وحضرموت واليمن ، وتعرضت الدولة الإسلامية لخطر جسيم ومحنة كبيرة .

ـ **وقد ظهرت هذه الحركة لدوافع وأسباب منها** : روح العصبيات الجاهلية ، ورغبة القبائل فى الخروج من سيادة قريش و الفهم الخاطىء للزكاة التى إعتبرتها إتاوة فرضت عليهم لإذلالهم ، والصراع والنزاع بين النفسية الإسلامية والنفسية الجاهلية بمحاولة الخروج من القيود الشريعية الى الشهوات والحرية الجاهلية ، والعامل الخارجى الذى أشعله القوى العالمية من الفرس والروم .

ـ **واستشار الخليفة أصحابه فى الموقف ضد المرتدين** ، حتى كانت فى النهاية اتفاق الرأى على مواجهة المرتدين ، وقتالهم .

ـ فتم تنظيم عدة حملات ، ووقعت مواجهات عنيفة ، دارت بين المسلمين والمرتدين ، وفى كل هذه المعارك ، أيد الله دينه ، ونصر جنده، وهزم المرتدين ، وكانت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

ـ **ونتج عن هذه الحروب** ، تأمين الإسلام فى عقر داره ، وردع كل من تحدثه نفسه بالخروج على الإسلام ، ووحدت كلمة العرب حول راية

التوحيد ، وجعلتهم يتوجهون للفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام .

٣ ـ **حركة الفتوح الإسلامية الكبرى** ، فبعد قمع حركة الردة ، بدأ المسلمون يتوجهون نحو دفع خطر الفرس والروم ، والجهاد فى سبيل نشر الإسلام ، وكانت أبرز المعارك والفتوحات التى تمت خلال عهد ابى بكر ـ رضى الله عنه ـ على الجبهتين الفارسية والرومية :

(أ) **الجبهة الفارسية** : والتى كانت تسيطر على مناطق واسعة تبدأ من بادية الشام فى الغرب وشمال جزيرة العرب من الجنوب ، وتم للمسلمين فتح العراق بعد عدة مواقع كان منها (**موقعة ذات السلاسل**) ـ فى صفر سنة ١٢هـ ـ بقيادة «خالد بن الوليد» و(**موقعة المذار**) ـ فى صفر سنة ١٢هـ ـ بقيادة «خالد بن الوليد» و(**معركة الولجة**) ـ فى صفر سنة١٢هـ ـ بقيادة «خالد بن الوليد» و(معركة **أُلّيس**) ـ فى ربيع أول سنة١٢هـ ـ بقيادة «خالد بن الوليد» و(**معركةالحيرة**) ـ فى ربيع الأول سنة١٢هـ ـ بقيادة «خالد بن الوليد» و(**فتح الأنبار**) ، بقيادة «خالد بن الوليد» و(**فتح عين التمر**) بقيادة «خالد بن الوليد» و(**معركة الفراض**) ـ فى ذى القعدة سنة ١٢هـ ـ تحت قيادة «خالد بن الوليد» ثم توجه بعد ذلك إلى بلاد الشام .

(ب) **الجبهة الرومية فى بلاد الشام خلال عهد أبى بكر الصديق** :

ـ فى مطلع السنة الثالثة عشر جهز الخليفة أبو بكر الصديق أربعة جيوش وجعل على رأس كل منها قائداً ، ووجهه إلى جزء معين من بلاد الشام ، وهى جيوش : «أبى عبيدة بن الجراح لفتح حمص» و«يزيد بن أبى سفيان» لفتح دمشق ، و«شرحبيل بن حسنة» لفتح وادى الأردن ، و«عمرو بن العاص» لفتح فلسطين ، وعدد الجيش الإسلامى (٢٧) ألفا ،

بينما وصل عدد جيش الروم ٢٤٠ ألف مقاتل .

- ووقعت عدة معارك حاسمة ، كان منها «اليرموك» - فى جمادى الآخرة سنة ١٣هـ - بعد ثلاثة أشهر لم تستطع الجيوش الأربعة النيل من الروم ، حتى جاء «خالد بن الوليد» من الجبهة الفارسية ، وتولى قيادة الجند فى الشام ، وجعلهم تحت أمير واحد ، ودارت هذه المعركة حيث قُتل من الروم أكثر من مائة ألف مقاتل ، بينما قتل من المسلمين نحو ثلاثة آلاف .

* * *

- مرض أبى بكر واستخلافه لعمر :

- فى بدايات شهر جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشرة ، مرض الخليفة الأول ، واستمر مرضه مدة خمسة عشر يوماً ، وكان أكبر أمر يشغل الخليفة أثناء مرضه ، هو من يلى أمر المسلمين بعده ، ورأى أن «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - هو أجدر من يحمل أعباء الخلافة ويتولى أمر المسلمين ، ولما شاور الصحابة ، ورأى ما يشبه الاجماع على عمر ، كتب عهداً بالخلافة لعمر ، وقال : **«وإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا»** فقالوا : «سمعنا وأطعنا» وأقروا بذلك جميعاً ، ورضوا به ، وبايعوه ، فأوصاه بما أوصاه به .

- وكان آخر ما تكلم به «أبو بكر» - رضى الله عنه - : **«توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين»** ثم لحق - رضى الله عنه - بالرفيق الأعلى ، يوم الإثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة (١٣ أغسطس ٦٣٤م) .

- توفى - رضى الله عنه - عن ثلاث وستين سنة ، وغسلته زوجه

أسماء بنت عميس حسب وصيته ، وتولى عمر صلاة الجنازة ، ثم نقل الجثمان إلى القبر ودفن فى حجرة عائشة ، مع رسول الله ﷺ وجُعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ ، **بعد خلافة سنتين وثلاثة أشهر ، وعشرة أيام .**

ـ وبهذا بدأت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى تولى أمر المسلمين بعد أبى بكر الصديق (رضى الله عنه)(١) .

* * *

(١) لمزيد من التفاصيل حول شخصية وعصر الخليفة الأول ينظر فى مواطنه المصادر والمراجع المتصلة بالموضوع ، منها : للماوردى : الأحكام السلطانية ، الجزرى : أسد الغابة ، ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة و ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ابن كثير : البداية والنهاية ، الذهبى : تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، الأصفهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ابن العربى : العواصم من القواصم ، ابن تيمية : منهاج السنة النبوية .
ومن المراجع ينظر : محمد رشيد رضا : أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، على طنطاوى : أبو بكر الصديق ، د . جمال عبد الهادى : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، رفيق العظيم : أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة ، محمود المصرى : أصحاب الرسول ، الخضرى : إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ، عبد العزيز الحميدى : التاريخ الإسلامى مواقف وعبر ، منير الغضبان : التربية القيادية ، أحمد سعيد سالم : حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية ، عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون خالد محمد خالد : خلفاء الرسول ، مجدى فتحى السيد : سيرة وحياة الصديق ، عباس العقاد : عبقرية الصديق ، أحمد شاكر : موسوعة التاريخ الإسلامى ، د.عبد الشافى عبد اللطيف ، محمد جبر أبو سعدة : التاريخ الإسلامى ،

الخليفة الثانى
«عمر بن الخطاب» (رضى الله عنه) (أمير المؤمنين)
[١٣.٢٣هـ / ٦٣٤.٦٤٤م]

ـ حياته فى الجاهلية والإسلام :

ـ هو «عمر بن الخطاب بن نفيل . . . بن عدى» فهو قرشى من بنى عدى يلتقى نسبه مع الرسول (ﷺ) فى الجد السابع كعب ، ولد بمكة بعد مولد الرسول بثلاث عشرة سنة ، وكنيته «أبو حفص» لشدته وجرأته ولقب «الفاروق» لأن الله فرق به بين الحق والباطل ، وبين به عهد الإسرار بالدعوة وعهد الجهر بها .

ـ اشتغل فى صغره برعى الغنم ، ثم اشتغل بالتجارة ، فكان يرحل إلى الشام صيفاً ، وإلى اليمن شتاءٍ ، وكان سفيراً لقريش فى الجاهلية إذا وقعت بينها وبين غيرها من القبائل حرب أو منافرة أو مفاخرة ، وكان «عمر» أحد سبع عشرة رجلاً يعرفون القراءة والكتابة فى مكة .

ـ لقى المسلمون من «عمر» أول الأمر عنتاً ومشقة ، وأسلم ببركة دعوة الرسول (ﷺ) له ، وكان إسلامه فتحاً ، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمامته فيما بعد رحمة .

= التاريخ الإسلامى ، د. محمد محمد الخطيب : الخلفاء الراشدون (م الحسين القاهرة) ، د. على الصلابى : رفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق شخصيته وعصره (دار الفجر) ، لجنة من أساتذة الأزهر : دراسات فى السيرة وعصرالخلفاء (القاهرة ١٩٩٩م) . . . الخ .

ـ ولما أمر رسول الله (ﷺ) المسلمين بالهجرة إلى «المدينة» كان المسلمون يهاجرون متخفين فى هجرتهم إلا «عمر بن الخطاب» ـ رضى الله عنه ـ فقد تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وأتى حلق قريش واحدة واحدة ، وقال : من أراد أن تثكله أمه ، ويبتم ولده ، وترمل زوجه ، فيلقنى وراء هذا الوادى ، فما تبعه منهم أحد .

ـ ولم يتخلف ـ رضى الله عنه ـ عن غزوة من الغزوات مع الرسول ﷺ ، وكان وزير صدق للرسول ﷺ ونال شرف ومصاهرة الرسول ﷺ بزواج النبى من حفصة بنت عمر (رضى الله عنه) ، وكان له فضل فى جمع القرآن وتدوينه ، وكان له فى بيعة أبى بكر الصديق دور منهم ، وأيده مدة خلافته ومشاركته فى حروب الردة.

ـ كان ـ رضى الله عنه ـ من الملهمين ، وقد أيده الوحى فى مواقف كثيرة منها : «تحريم الخمر ، وحجاب النساء ، وعدم الصلاة على المنافقين ، واتخاذ مقام إبراهيم مصلى» ، وفى أسارى بدر» وغير ذلك .

ـ دُعى ـ رضى الله عنه ـ بأمير المؤمنين ، فهو أول من سمى بذلك.

ـ منهج عمر فى الحكم :

كان «عمر بن الخطاب» ـ رضى الله عنه ـ بحق نموذجاً للحاكم الصالح ، والراعى الأمين ، والحاكم الورع الذى يخاف الله فى كل صغيرة وكبيرة ، وكل موقف وقضية :

ـ فهو مع نفسه ، يأخذها بالقوة والقسوة ، ويقول : « . . . إذا رتع الإمام رتعوا» ، فكان يخضعها للحق والعدل ، وعاش بين المسلمين

كما يعيشون دون أن يتميز دونهم بشيء ، فكان قليل الطعام ، بسيط اللباس ، وينزل نفسه من مال الله ، منزلة مال اليتيم ، إن استغنى استعفف ، وإن افتقر أكل بالمعروف .

ـ وهو مع أهله ـ رضى الله عنه ـ يأخذهم وذوى قرابته بأوامر الدين ونواهيه قبل أن يأخذ أحداً من الناس ، لأن الناس ينظرون إليهم، ويقول لهم « . . . وأقسم بالله لا أجد أحد منكم فعله ـ أى ما نهيت الناس عمله ـ إلا أضعفت عليه العقوبة » .

ـ وهو مع عماله ، يختار أصلحهم ، وينتقى عماله من الأمناء المعروفين بإيثار المصلحة العامة ، والذين يجمعون بين الصلاح والصلاحية ، وربما قدم الصلاحية على الصلاح ، وكان يراقب الولاة ، ويطلب منهم أن يوافوه فى كل موسم حج ، وكان يسأل الناس عن ولاتهم ومدى تمسكهم بالشرع ، وحكمهم بالعدل ، ويستمع إلى شكوى الناس على أمرائهم ، وحرّم الهدايا على ولاته وعماله ، ويشهد الناس على المنبر أنما بعث أمراء الأمصار «ليعلموا دينهم ، وسنة نبيهم ، ويقسموا فيهم فيئهم ، وأن يعدلوا» .

ـ وهو ـ رضى الله عنه ـ مع الرعية خيرُ أمير ، فكان يعس بنفسه فى المدينة ، ويسأل رغبات الناس ، ويتعرف على مشاكلهم وحاجياتهم، ووصلت خشيته وخوفه من أن يسأله الله عن دابة تعثر بالعراق ، أو تضيع بشط الفرات ، لما لم يصلح الطريق لها ، وكان يطوف بالأسواق، ويغشى مجالس الناس و ويقضى بينهم ، ولم يكن على داره باب ولا حجاب» يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء ، ويستبقى معه كبار الصحابة فى المدينة يستشيرهم فى القضايا ، ويأخذ رأيهم فى

المشكلات، كما كان يرعى زوجات المجاهدين رعاية كاملة ، ويقضى حوائجهن ومطالبهن ، ويطلعهن على أخبار الرجال فى المعارك.

ـ وكان ـ رضى الله عنه ـ مع المجاهدين فى سبيل الله ، خير ناصح وأمين ، يبعث بأوامره وتعليماته إلى القادة بصورة مستمرة ، ويسأل عنهم ، ويتعرف على أخبارهم حتى كأنه يعيش معهم ، وكان حريصاً على أن يفك أسرى المسلمين من بيت المال .

ويقول : «لأن أستنقذ رجلاً من المسلمين من أيدى الكفار أحبُ إلى من جزيرة العرب» .

ـ وهو ـ رضى الله عنه ـ مع أهل الذمة نعم الحاكم العادل ، الذى يتمشى مسلكه مع تعاليم الإسلام فى الرفق والتسامح مع أهل الذمة ، فإذا أسلم الذمى سقطت عنه الجزية ، وأعفى منها العجزة والشيوخ والأطفال والنساء ورجال الدين ، واعتبر فقراء ومساكين أهل الذمة ذوى استحقاق فى بيت مال المسلمين .

* * *

ـ أهم أعمال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

ـ كما كان للخليفة الثانى هذه الأعمال والملامح مع نفسه وأهله وولاته ورعيته ، كان له عدة انجازات وأعمال أخرى فى تاريخ الدولة الإسلامية ، منها :

١ ـ التاريخ الهجرى :

فهو أول من جعل هجرة الرسول ﷺ بداية التاريخ الإسلامى ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة للهجرة ، كحدث جليل من

أحداث الإسلام العظمى .

٢ ـ استقلال القضاء :

ـ فقد جعل القضاء مستقلاً عن غيره من الشئون ، وعهد بالقضاء إلى شخص أخر غير الوالى ، وجعل تعيين القضاة فى الأمصار بيده شخصياً حرصاً على العدالة .

٣ ـ تدوين الدواوين :

ـ حيث وضع «ديوان الجند» لتدوين أسماء المجاهدين ، و«ديوان الخراج» لتدوين ما يرد إلى بيت المال ، وما يصرف لكل مسلم من العطاء.

٤ ـ تمصير الأمصار :

ـ وهى المدن الجديدة الصالحة لسكنى المسلمين ، ولتكون قواعد متقدمة تنطلق منها الجيوش إلى ميادين الجهاد ، وقد أسس فى عهده ـ رضى الله عنه ـ عدة مدن ، من أهمها : «البصرة» ـ من سنة (١٤هـ) إلى سنة(١٧هـ) ـ ومدينة «الكوفة» ـ فى سنة (١٧هـ) ـ ومدينة «الفسطاط» ـ عاصمة مصر الإسلامية الأولى سنة (٢١هـ) .

٥ ـ أعمال عمرية أخرى :

ـ بجانب هذه الأعمال والمنجزات يضاف لأعماله ـ التى تشهد بعبقريته المبكرة الناضجة ، وأنه رجل سبق عصره وزمنه ـ ما تُعد أوليات عمرية منها : أنه أول من سن قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك، وهو أول من عس عمله فى المدينة ، وهو أول من مسح السواد وأرض الجبل ، وهو أول من مصر الأمصار ، وهو أول من دون الدواوين ، وهو

أول من حمل الطعام فى السفن من مصر بإشارته حفر خليج أمير المؤمنين، وهو الذى وضع فى الطريق السبل بين مكة والمدينة ، وهدم مسجد رسول الله ﷺ وزاد فيه ، وهو الذى أخرج اليهود من الحجاز وأجلاهم من جزيرة العرب إلى الشام ، وهو الذى أخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم ، وكان ملتصقاً بالبيت ، هذا بجانب الفتوحات الإسلامية الكبرى فى عهده .

* * *

الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

ـ كان الميدان الخارجى من أهم الصفحات التاريخية الكبرى فى عهد الخليفة الثانى ، حيث الفتوحات الإسلامية على جبهتى الفرس والروم ، فى سجل مشرق حافل بالبطولات والانتصارات :

أولاً : الفتوح فى العراق وفارس :

ـ توقفت الفتوح فى الجبهة الفارسية عند الحدود التى تركها القائد «خالد بن الوليد» لتعزيز الجبهة الشامية ، وبعد تولى «عمر بن الخطاب» عادت الإشتباكات على الجبهة الفارسية ، ووقعت معارك تاريخية كان منها : «معركة الجسر» ـ فى شعبان سنة ١٣هـ ـ بقيادة «أبى عبيد الثقفى» ـ وانتصر الفرس فى هذه المعركة وقتل القائد الثقفى ـ ثم موقعة «البويب» ـ فى رمضان سنة (١٣هـ) ـ بقيادة «المثنى بن حارثة الشيبانى» وانتصر فيها المسلمون انتصاراً رائعاً على الفرس ، ثم المعركة الكبرى «القادسية» ـ سنة(١٥هـ) ـ بقيادة «سعد بن أبى وقاص» والتى استمرت فيها المعارك لأربعة أيام «أرماث ، أغواث ، عماس ، ليلة الهرير ، القادسية» حيث كان يوم النصر ، وقتل «رستم» قائد الفرس ـ وتفرق شمل جيشه، وفرّ آلاف

الفرس ، وغرق عد كبير منهم ، وكان القتلى لا يقلون عن ثلاثين ألفاً، من أصل (٢٤٠) ألفاً من الجنود والمعاونين ، مقابل (٤٠) ألفاً من المسلمين الذين أظهروا كل ألوان البطولة ، وأنواع الشجاعة ، ثم كان «فتح المدائن» ـ فى صفر سنة١٦هـ ـ وهى عاصمة الفرس ، وتسمى «طيسفون» حيث فرّ منها الفرس ، وهرب «يزدجرد بن شهريار» الى مدينة «حلوان» ـ شمال شرق المدائن ـ فسقطت المدينة فى أيدى المسلمين، وتذكروا فيها وعد رسول الله ﷺ لهم بالنصر وإيوان كسرى وسواريه «لسراقة بن مالك»،وصلى المسلمون صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن،وصارت المدائن قاعدة أعمال العراق ، ومنطلقا لاسقاط باقى الإمبراطورية الفارسية الكبرى ، ثم كانت معركة «جلولاء» ـ سنة (١٦هـ) ـ وبطلها «القعقاع بن عمرو التميمى» الذى حمل على الفرس فى الجهات الجبلية بجوار «أذربيجان» ففر الفرس ، وقتل منهم مالا يقل عن «مائة ألف» سار بعدها «القعقاع» إلى مدينة «حلوان» فاستولى عليها بعد مقاومة عنيفة ، فى ذى الحجة سنة (١٦هـ)، وكان «يزدجر» قد فرّ منها إلى «الرى» ، وتوقف الفتح إلى هذه المنطقة بناءً على أمر الخليفة«عمر بن الخطاب» حتى تتوطد أقدام المسلمين فيما فتحه من بلاد، فتوجه إهتمام قائد الجيوش الجبهة الشرقية «سعد بن أبى وقاص» إلى إخضاع الأراضى الواقعة شمال العراق ، وأواسط الفرات فتم فتح ومصالحة «تكريت والموصل» ، وبذلك أصبحت كل الأراضى الواقعة بين النهرين فى أيدى المسلمين ، فأقاموا بها الجنود والحاميات .

ثم نشطت الجبهة الفارسية بعد أربع سنوات ، عندما حاول «يزدجر» حاكم الفرس أن يجمع جيشاً فارسياً قوامه ما بين ستين إلى مائة ألف مقاتل بقيادة «النعمان بن مقرن المزنى» وكانت موقعة «نهاوند»

أو «فتح الفتوح» ـ سنة ٢١هـ ـ واستطاع المسلمون النصر فيها ، بعد استشهاد «النعمان» وتولى «حذيفة بن اليمان» القيادة ، وفرّ «يزدجر» إلى خراسان» وسمى المسلمون هذا الفتح «فتح الفتوح» حيث كانت خاتمة الحروب الكبرى مع الفرس ، حيث تم بعدها بكل سهولة إخضاع الأراضى الفارسية تحت الحكم الإسلامى ، وبدأ الإسلام ينتشر هناك ، وضعفت شوكة الفرس ، وأذن «عمر بن الخطاب» بالانسياح العسكرى فى بلاد فارس للقضاء على فلول التجمعات الفارسية ، وتم تقسيم الجيش الإسلامى إلى عدة ألوية ، لكل منها قائد وإقليم من أقاليم الدولة الفارسية «الأقاليم الشمالية ـ وأهم مدنها ـ «قزوين، الديلم، أذربيجان» ـ والأقاليم الوسطى والشرقية ـ وأهم مدنها ـ «فارس، خراسان، سجستان» ـ والأقاليم الجنوبية المتصلة بحدود الهند» وقد كان النصر حليفاً للمسلمين فى كل هذه البقاع ، وامتدت الرقعة الإسلامية من **«نهر الفرات غرباً إلى نهر جيحون والسند شرقاً ، ومن بلاد أرمينية وبحر الخزر شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً»** فى مدة لا تتجاوز سبع سنوات ، مما لا يزال محل دهشة العالم واستغرابه حتى اليوم .

* * *

ثانياً : الفتوح الإسلامية فى الجبهة الرومية (عهد الخليفة عمر بن الخطاب) رضى الله عنه :

ـ توفى الخليفة الأول «الصديق» ـ رضى الله عنه ـ وقد توقفت الفتوح فى عهده على الجبهة الرومية عند حدود الأردن ، وقد انتهت موقعة اليرموك فى عهده بهزيمة الروم ، وتراجعوا إلى الأردن لحين وصول المدد الرومانى .

- وتجمعوا فى «فحل» - بغور الأردن ، واستطاع المسلمون دخول «فحل» و«بيسان» - فى ذى القعدة سنة ١٣هـ - بقيادة «أبو عبيدة بن الجراح» بينما تم «فتح دمشق» - فى رجب سنة ١٤هـ - بإمارة «خالد بن الوليد» وتحت قيادة «أبى عبيدة بن الجراح» بعدما عزله الخليفة «عمر بن الخطاب» حتى لا يفتتن الناس به ، ويعتقدوا أن النصر حليف خالد ، وحتى لا يغيب عنهم تذكر معية الله تعالى ، وبعد فتح دمشق انقسم جيش المسلمين إلى قسمين رئيسيين : قسم بقيادة «أبى عبيدة» و«خالد بن الوليد» إلى الشمال لفتح بلاد سوريا» وقسم بقيادة «عمرو بن العاص، معه «شرحبيل بن حسنة» إلى الجنوب لفتح بلاد «الأردن وفلسطين» .

- واستطاعت جيوش الشمال من فتح تلك البلاد ، ومنها : «بعلبك، وقنسرين وحلب ، وأنطاكية» ثم المدن الشامية الداخلية «قريقساء، صور، صيدا، بيروت، جبيل، طرابلس... إلخ» واستطاع المسلمون لوصول إلى جبال «طوروس» بينما استطاعت الجيوش الجنوبية من فتح تلك البلاد ، ومنها : «عكا، وحيفا، ويافا، وغزة، وعسقلان، واللد، والرملة» ولم يبق إلا بيت المقدس .

- وعقب هذه الإنتصارات المتتالية للمسلمين يئس «هرقل» من بقاء الشام تابعة له ، فودع سوريا الوداع الأخير بقوله : «عليك السلام ياسوريا سلاماً لا اجتماع بعده» .

- ثم وجه المسلمون بعد ذلك عنايتهم لفتح «بيت المقدس» فهو قبلة المسلمين ، الأولى ، وثالث الحرمين ، ومسرى رسول الله ﷺ ، وكانت محصنة تحصيناً قوياً ، وبها حامية كبيرة تحت قيادة «الأرطبون» فشدد المسلمون عليها الحصار ، ولما طال فرَّ «الأرطبون» إلى «مصر»

وتولى بطريق مدينة «القدس» الدفاع عنها ، الذى طلب عقد صلح مع المسلمين شريطة أن يتولى الخليفة بنفسه ذلك ، فتوجه الخليفة «عمر بن الخطاب» ـ رضى الله عنه ـ ونزل «بالجابية» واستقبلة قادة الجيوش «أبو عبيدة ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص . . وأهل القدس ، وكتب لهم الخليفة كتاباً أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، ثم دخل الخليفة «القدس» وصلى بها ، وأمر ببناء مسجد هناك لا يزال يُعرف بإسمه ، وهكذا أصبحت «بلاد الشام» جميعها فى يد المسلمين، وأمست «جبال طوروس» الحد الفاصل بين الدولة الإسلامية والدولة الرومانية .

ـ وبع فتح «فلسطين» واستلام «بيت المقدس» ، كان الإجراء الطبيعى تأمين هذه الفتوح الإسلامية ببلاد الشام ، فاتجهت الأنظار إلى «فتح مصر» وذلك لتجمع الروم فيها ، ، مما يُعد خطراً يهدد الوجود الإسلامى فى الشام ، وأذن الخليفة «عمر» ـ رضى الله عنه ـ فى المسير إلى «مصر» بجيش قوامه أربعة آلاف ،تحت قيادة «عمرو بم العاص» أواخر السنة الثامنة من الهجرة ، وسار من فلسطين محاذياً ساحل البحر المتوسط ، حتى وصل «العريش» وفتحها فى (١٠) من ذى الحجة سنة (١٨هـ) ، ثم دخل مفتاح مصر الشرقى «الفرما» ثم تقدم إلى «بلبيس» واستولى عليها بعد حصار استمر شهرا ، ثم تقدم إلى «أم دنين» ـ مكانها الآن حديقة الأزبكية ـ وجرت معركة قرب «عين شمس» انتصر فيها المسلمون ، ثم تم حصار «حصن بابليون» حتى تمكن المسلمون من فتحه ثم توجهت الجيوش لفتح مدن متعددة فى مصر ، مثل «الفيوم» ومن «الصعيد» ثم توجهوا للإسكندرية ، وفى الطريق تم فتح المدن المقاومة فى الطريق ، ثم حاصروا «الإسكندرية» لمدة ثلاثة أشهر ، كتب الله

النصر فى النهاية للمسلمين ، وهكذا دخلت «مصر» تحت راية الإسلام، وأصبحت ولاية إسلامية فى عام ٢١هـ .

- بعد فتح «مصر» على يد القائد «عمرو بن العاص» كان من الطبيعى تأمين الفتح الإسلامى ضد «البيزنطيين» - الروم - من أطماعهم، فقام بفتح «**برقة وطرابلس**» سنة (٢٣هـ) ، فى «ليبيا» ، ثم أمر الخليفة «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - بالتوقف ، حتى تتوطد أقدام المسلمين فى المناطق التى فتحوها ، فجعل «عقبة بن نافع» فى بلاد «ليبيا» يوطد للدعوة والدولة .

* * *

خاتمة الفاروق (رضى الله عنه): (٢٦/١٢/٢٣هـ)

- إن هذه الإنجازات ، وتلك الأعمال الخالدة فى صحائف التاريخ فى حق «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه - جعلته مقصد الأعداء ، ممن حقدوا عليه ، وأضمروا له الشر ، وكانت «مؤامرة كبرى» عملت على القضاء عليه ، كان بطلها الظاهر «**فيروز**» - **أبو لؤلؤة** - الغلام الفارسى، الذى ترجم الحقد والشر العالمى فى طعنه للخليفة «عمر بن الخطاب» وهو يصلى الفجر بالمسلمين فى المسجد ، فى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة .

- وفى الحقيقة كانت هذه الطعنات نتيجة مؤامرة سياسية واسعة اشتركت فيها كل القوى العالمية العادية للإسلام ، ممثلة فى بعض الشخصيات التى ظهرت على مسرح الأحداث وتحدثت عنها الروايات التاريخية مثل «الهرمزان» ، وفيروز ، وجفينة النصرانى» .

ـ ولما طعن «عمر» ـ رحمه الله ـ وأحس بالموت ، طُلب إليه أن يعهد إلى خليفة من بعده ، فرشح الذين مات الرسول ـ ﷺ ـ وهو راضى عنهم ، والذين قال فيهم : (إنهم من أهل الجنة) ، وهم «عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله» .

ـ وبقى «عمر بن الخطاب» ـ رضى الله عنه ـ ثلاثة أيام بعد طعنه، وأرسل ابنه «عبد الله» إلى أم المؤمنين «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ يستأذنها فى أن يدفن بجانب صاحبيه ، فآثرته بالموافقة وقد كان لها فى المكان رغبة ، **ثم توفى ـ رضى الله عنه ـ يوم الأربعاء (أربع بقين من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة** (٢٦/ ١٢/ ٢٣هـ) .

ـ أما أمر «الخلافة» فقد فوض الرهط «عبد الرحمن بن عوف» ـ رضى الله عنه ـ لجمع الرأى والمشورة حول اختيار الخليفة ، فوجد أن آراء الناس قد انحصرت فى «عثمان بن عفان» ـ رضى الله عنه ـ ثم فى «على بن أبى طالب» ـ رضى الله عنه ـ دون غيرهما ، فذهب «عبد الرحمن بن عوف» ، إلى المسجد ليعلن رغبة الأغلبية فى اختيار «عثمان ابن عفان» وبايعه بالخلافة ، وبذلك أصبح «عثمان بن عفان» الخليفة الثالث لرسول الله ـ ﷺ ـ وقد فرغ المسلمون من مبايعته يوم (٢٩من ذى الحجة سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤م) ، فاستقبل بخلافته المحرم سنة ٢٤هـ(١).

* * *

(١) للمزيد عن أخبار الخليفة الثانى عمر بن الخطاب وشخصيته وعصره ، ينظر من المصادر والمراجع : ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، السيوطى :

الخليفة الثالث
«عثمان بن عفان» رضى الله عنه
(٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م)

ـ حياته وصفاته :

ـ هو «عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف . . . يلتقى مع رسول الله ﷺ فى الجد الرابع ، ولد

= تاريخ الخلفاء، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، الأصفهانى: حلية الأولياء، الذهبى: سير أعلام النبلاء ، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ومنهاج السنة النبوية ، الجوزى : مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ومن المراجع ينظر للمزيد والتفصيل: د. محمد الخطيب : الخلفاء الراشدون، د.إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، محمد الخضرى : إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ، رفيق العظم : أشهر مشاهير الإسلام ، غالب عبد الكافى : أولياء الفاروق ، د/ جمال عبد الهادى : استخلاف أبو بكر ، حسن أيوب : الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، محمود شيت خطاب : الفاروق القائد ، عاطف لماضة : الفاروق مع النبى (ط طنطا) ، عبد العزيز الشناوى : الفتوحات الإسلامية ، أحمد عادل كمال: القادسية (النفائس) ، مناع القطان : النظام القضائى فى العهد النبوى والخلافة الراشدة (م وهبة) محمد السيد الوكيل : جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين ، محمود العقاد ، عبقرية عمر ، السيد محمد نوح : من أخلاق النصر فى جيل الصحابة (دار ابن حزم) ، د. على محمد الصلابى : عمر بن الخطاب شخصيته وعصره (دار الفجر) ، لجنة من أساتذة جامعة الأزهر : دراسات فى السيرة وعصر الخلفاء الراشدين . . . الخ .

(رضى الله عنه) فى مدينة «الطائف» بعد الرسول ﷺ بست سنوات ، وكان أبوه عفان ثرياً صاحب تجارة وقد مات وخلف مالاً لابنه عثمان فاتجر به وربح ، وكان جواداً كريماً ، فأحبه قومه وقدموه ، وكان سيداً فى قومه «بنى أُمية» وأحد أعيان قريش كلها .

ـ لقب «بذى النورين» لأنه تزوج ببنتى رسول الله ـ ﷺ ـ «رقية»(ت٢هـ) و«أم كلثوم»(ت٩هـ) .

ـ أسلم بدعوة «أبى بكر الصديق» ـ رضى الله عنه ـ وكان من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن العشرة الأوائل الذين دخلوا الإسلام ، وقد أوذى بسبب إسلامه ، فظهرت فيه الصلابة فى دينه ، واستعذب الأذى والإضطهاد فى سبيل الله .

ـ هاجر ـ رضى الله عنه ـ الهجرتين إلى «الحبشة» مع زوجته «رقية» وهما بذلك أول من هاجر إلى الله بعد لوط (عليه السلام) ، وهاجر أيضاً مع زوجته «رقية» إلى «المدينة» .

ـ شهد المغازى كلها مع رسول الله ﷺ إلا غزوة «بدر» فقد كانت زوجته «رقية» مريضة ، فبقى بجانبها يمرضها ، ومارجع المسلمون من تلك الغزوة حتى كانت ـ رضى الله عنها ـ قد توفيت .

ـ وكان ـ رضى الله عنه ـ سفيراً عن المسلمين «يوم الحديبية» عند مكة ، يفاوضهم فى دخول المسلمين مكة للطواف وزيارة البيت وأداء العمرة ، ولم طال لبثه فى مكة ، وظن المسلمون أن «قريشاً» غدرت به، كانت بيعة «الرضوان» من أجل «عثمان بن عفان» التى كانت «تحت الشجرة» .

- ومن **أبرز صفاته** - رضى الله عنه - الحياء ، والكرم ، وبلغ من كرمه أنه جهز جيش العسرة فى غزوة «تبوك» وتصدق بألف بعير تحمل «الزيت والزبيب والبر» على مساكين وفقراء المسلمين واشترى «بئر رومة» - عذبة الماء - من رجل يهودى ، فجعلها للمسلمين يأخذون منها هبة بلا مقابل ، وكان أحد **كتاب الوحى** للرسول -ﷺ- ومن الصحابة الذين **حفظوا القرآن** الكريم كله فى صدورهم على عهد رسول الله -ﷺ- وأحد الذين مات النبى -ﷺ- وهو عنهم راض .

* * *

- أهم أعمال عثمان بن عفان (رضى الله عنه) :

- قام - رضى الله عنه - بخدمات خالدة وجليلة إبَّان خلافته ، منها : «**عمارة المسجد الحرام وتوسيع المسجد النبوى**» ففى سنة (٢٦هـ) زاد فى المسجد الحرام ووسعه وفى سنة (٢٩ هـ) وسع المسجد النبوى ، وبناه بالحجارة ، ومنها : «**مضاعفة العطاء**» ووسع على المسلمين بما أفاض الله عليه من النعم ، و«**إحياء الموات وإصلاح الأراضى**» حيث أذن للعرب فى الأراضى المفتوحة بإصلاح الأراضى وإحياء مواتها ، وكان «عمر» - رضى الله عنه - لا يبيح للعرب الإشتغال بالزراعة حتى لا ينشغلوا عن الجهاد ، ومنها : «**ترتيب الطعام فى شهر رمضان لأهل المدينة**» وهو أول من «**اتخذ فى الدولة الإسلامية داراً للقضاء وأوجد المحاكم**» فقد كان ميالاً للعمارة والتوسعة والتنظيم ، وهو الذى «**جمع المسلمين على مصحف واحد**» فجعله على وجه من وجوهه ، حتى لا يختلف الناس.

* * *

- الفتوحات فى عهد عثمان بن عفان» - رضى الله عنه :

- بعد وفاة الخليفة «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - تصور

الفرس والروم أن الفرصة حانت لإعادة ممتلكاتهم ، فانتفضت بلاد ضد المسلمين ، فبدأ «عثمان بن عفان» عهده بإخماد حركاتهم ، والقضاء على ثوراتهم ، وإعادتهم إلى الطاعة ، ثم انطلق نحو فتوحات جديدة وضمها إلى رقعة البلاد الإسلامية .

ـ ففى «بلاد فارس» خرج «عبد الله بن عامر» ـ والى البصرة ـ وسار بجيوشه إلى بعض المدن الفارسية الثائرة ، واستطاع إخضاع «نيسابور ، وسرخس ، ومرو» ـ من بلاد خراسان ـ وتوغل فى بلاد «التركستان» حتى وصلى إلى مدينة «بلخ» وأدخلها فى حوزة الإسلام ، وظل «عبد الله بن عامر» فى جهاده حتى تم إخضاع «القسم الشرقى» من بلاد فارس للإسلام من جديد ، وكان ذلك عام (٣١هـ) ، ثم تواصلت الجهود الإسلامية فى تلك البلاد ، وكان من أبرز القواد الذين قاموا بجهود مشكورة هناك : «**الأحنف بن قيس ، ومجاشع بن مسعود ، والربيع بن زياد الحارثى**» الذين رسخوا سلطة الإسلام فى كثير من البلاد المنتفضة مثل «كرمان ، وسجستان ، وطخارستان» وبذلك تم القضاء على قوات الفرس الباقية ، وتم القضاء على «**يزدجرد**» ملك الفرس ، على يد بعض أتباعه الذين الذين طاردوه وقتلوه عام (٣١هـ) ، وبقتله زالت دولة الساسانيين ، وبموته انتهى عهد «الأكاسرة» إلى الأبد .

ـ كما تم إخضاع «**أذربيجان**» سنة (٢٤هـ) ، وإعادة أهلها إلى الطاعة بقيادة «الوليد بن عقبة» ، والى الكوفة ، كما ذهب الجيش الإسلامى إلى «**أرمينية**» بقيادة «حبيب بن مسلمة الفهرى» و«سلمان الباهلى» وتم إخضاع ذلك الإقليم مرة أخرى إلى حظيرة الإسلام .

ـ واستطاع الجيش الإسلامى فى «**جبهة الشام**» بعد الهجوم البيزنطى

على الشام سنة (٢٤هـ) أن يلحق الهزيمة بالبيزنطيين ، وطاردهم المسلمون ، وتوغلوا فى «أسيا الصغرى» حتى وصلوا إلى «عمورية» ـ فى موقع أنقرة اليوم ـ وأصبح معظم آسيا الصغرى تحت سلطان المسلمين .

ـ واتجهت الأنظار لفتح «قبرص» سنة (٢٨هـ) ، بعدما تم إنشاء «الأسطول البحرى الإسلامى» بمعرفة «معاوية بن أبى سفيان» ـ والى الشام ـ وموافقة الخليفة ، وأنشأ دوراً لصناعة السفن فى«عكا وصور وطرابلس» ، وكان «عبد الله بن قيس اليمنى» هو قائد القوات البحرية الإسلامية ، وقاد «معاوية» رجال الاسطول لفتح قبرص ـ وهى محطة الإمداد والتموين للإسطول البيزنطى والتقى معه «الاسطول البحرى المصرى» بقيادة «عبد الله بن أبى سرح» من الإسكندرية ، فاستسلمت ، وعقدت مع معاوية صلحاً .

ـ واستطاع هرقل إرسال أسطول عظيم سنة (٢٥هـ) إلى «الإسكندرية» وتمكن من دخولها والتحصن بها ، لكن «عمرو بن العاص» تمكن من استرداد «الإسكندرية» وقتل قائد «الروم» والإستيلاء على كثير من سفن الأسطول البيزنطى .

ـ وفى سنة (٣١هـ) فى إطار المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين كانت المعركة الخالدة المعروفة باسم «معركة ذات الصوارى» حيث تحرك «قسطنطين بن هرقل» على رأس أسطول ضخم مؤلف من خمسمائةقطعة بحرية أو أكثر لغزو الشواطىء الإسلامية ومحاولة تدمير الأسطول البحرى الإسلامى الناشىء ، فتجمع الأسطول البحرى «المصرى والشامى» لايزيد عددهما عن مائتى سفينة واشتبك الأسطولان الإسلامى والبيزنطى فى معركة ذات الصوارى ، فنصر الله المسلمين ،

ودمروا أسطول البيزنطيين ، وحطمت هذه المعركة «اسطورة سيادة الروم على البحر المتوسط» وضرب فيها المجاهدون المسلمون أروع أمثلة البطولة والشجاعة والمهارة .

ـ وندب «عثمان بن عفان» ـ رضى الله عنه ـ الناس إلى الغزو ، وتكون جيشٌ إسلامى يعرف باسم «جيش العبادلة» لكثرة من خرج فيه ممن يسمى «عبد الله» مثل «عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير. . .» وفى سنة(٢٥هـ) خرج «عبد الله بن سعد بن أبى سرح» ـ قائداً عاماً ـ بالجيش وقام بغارة على إفريقية سنة(٢٧هـ) فى جيش بلغ عشرين ألفاً ، وانتصر فيه المسلمون فى معركة «سبيطلة» وفتوحها ، وقتلوا «جرجير» الحاكم للمنطقة من «طرابلس إلى طنجة» وتسمى «إفريقية» ـ وهى تونس الحالية.

ـ كمال غزا «عبد الله بن أبى سرح» ـ والى مصر بعد «عمرو بن العاص» ـ مدن «النوبة» ـ جنوب مصر ـ واستولى على مدنها الواحدة بعد الأخرى ، وفتح عاصمة «النوبة» وهى مدينة «دنقلة» وعقد بين الفريقين فى رمضان سنة (٣١هـ) عهد ، ثم اختلط النوبيون بالعرب ، واعتنق كثير منهم الإسلام .

* * *

ـ الفتنة فى عهد (عثمان بن عفان) ـ رضى الله عنه ـ :

ـ «الفتنة» هى تلك الثورة المشئومة ، والأحداث الأليمة التى أدت إلى مقتل «عثمان بن عفان» ـ رضى الله عنه ـ وكان قتله بداية فتن سود تتابعت كقطع الليل الأسود ، فرقت شمل الأمة الإسلامية ، وأخرتها

كثيراً .

- ولعل أهم أسباب تلك الفتنة هى : «**تطور المجتمع الإسلامى**» حيث تعددت العناصر والقوميات فيه ، وتعددت الملل والنحل والعقائد تحت السلطة الإسلامية على إتساع الرقعة الإسلامية ، وتعددت التقاليد والعادات ، والمدنيات والثقافات ، وأمسى المجتمع الإسلامى مزيجاً من البيئات المتباينة ، جعلت فى النهاية سياستها صعبة ، أو على الأقل تختلف عما كانت عليه ، كما ظهرت «العصبيات» ضد «قريش» ومكانتها وسيادتها، و«حقد» بعض أبناء الأمم المفتوحة على المسلمين ، وعملهم للكيد له ، والخلاص منه .

ومن الأسباب : «**استغلال المتآمرين لصفات عثمان**» (رضى الله عنه)، فقد تولى الخلافة وهو فى سن السبعين من عمره ، وكان يتصف باللين والعفو والتسامح والرفق والحياء ، وإيثار جانب الهوادة والعطف على جانب الصرامة والعنف ، لكن تلك القلوب المريضة ، والنفوس الآثمة، والضمائر الميتة ، استغلت هذه الصفات أسوأ استغلال ، وتنقلوا من دور إلى دور ، ومن تخطيط لآخر، لإشاعة الفتنة ، والتقول على الرجل .

ومن هذه الأسباب «**استغلال بعض أقاربه لثقته فيهم**» فقد آثر - رضى الله عنه - أقاربه ، وبسط يده لهم ، وقربهم وولاهم ، مجتهداً فى ذلك أن يكونوا عوناً له وهو الرجل الذى بلغ السبعين ، وكان ممن ولاهم «الوليد بن عقبة» على «الكوفة» وهو أموى ، و«عبد الله بن عامر» على «البصرة» - سنة (٢٩هـ) - وهو ابن خال «عثمان» ، وولى «عبد الله بن أبى السرح» على «مصر» بدلاً من «عمرو بن العاص» ، وجمع «لمعاوية بن أبى سفيان» بين أجناد الشام الأربعة «دمشق ،

الأردن، حمص ، فلسطين» ، وقد استبد به بعض أهله ، واستغلوا عطفه عليهم ، وحياءه منهم ومن الناس، واستغلوا ضعف شيخوخته ، فركبوا باسمه أموراً هو منها براء ، وفتحوا باب النقد والتقول والهجوم عليه ، مما أثار روح التمرد والشغب فى الأمصار المختلفة .

ومن هذه الأسباب : **«إستغلال دعوة أبى ذر الغفارى»** (رضى الله عنه) ، الذى كان يرى أنه لا ينبغى للمسلم أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يوم وليلة ، وأى شىء فوق ذلك ينفقه فى سبيل الله ، ورأى «عثمان» أنه لا ينبغى أن يُجبر الناس على الزهد ، والأصل أن يدعى الناس للإقتصاد وفى النفقة ، فطلب «أبو ذر» أن يخرج من «المدينة» إلى الربذة» تنفيذاً لوصية نبوية له ، فقال له «عثمان»: أنفذ لما أمرك به ـ ﷺ ـ وزوده ببضعة وعشرين من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وعاش فى «الربذة» حتى توفى س٣٢هـ ، لكن هذه الدعوة وتلك الحادثة صورت بغير صورتها ضد الخليفة واستفاضت فيها الأخبار بما يشبه الخيال، للتقبيح من سياسة عثمان .

ومن هذه الأسباب **«مؤامرة السبأية لابن السوداء»** التى قام بها «عبد الله بن سبأ» إبن أمة سوداء ، وهو يهودى يمنى ، إدعى الإسلام زمن «عثمان بن عفان» ، واتخذ ستاراً لتآمره ، واستخدم كل أساليب المكر والخداع والدهاء والنفاق والكذب والدعاية المغرضة ، مستغلاً كل الأحداث حوله ، مستعيناً بأصحاب الأهواء والقلوب المريضة من المنافقين ، وفلول المرتدين ، وأصحاب السلطان المنتزع من الفرس ، وكهنة المجوس واليهودية والمسيحية ، وقام بنشر أكاذيبه ، ونفث سمومه بين الأمصار ، متخذاً : التظاهر بحب آل البيت والرغبة فى إعادة حقهم

فى الخلافة سبيلاً لنزعها من عثمان ، وأخذ يقول «بالوصية» وشكك فى العقيدة بالحديث عن «الرجعة» وأن النبى -ﷺ- سيرجع كما سيرجع عيسى ، وخاض فى حق الأئمة ، فكان أول من طعن على «أبى بكر وعمر» - رضى الله عنهما - وانتقضهما ، ورفع من منزلة «على» وجعل «عثمان» مغتصباً للخلافة ، وقام بتحريض الناس على أمرائهم ، وتشجيعهم على الثورة لأتفه الأسباب ، لإشاعة الفرقة والتشرذم والإختلاف ، ويزور الكتب على لسان الصحابة ، وبث الدعاة لإشاعة المكاتبات الكاذبة فى الأمصار الإسلامية وإذاعتها .

- وكانت هذه الأنشطة تأخذ طابع السرية حتى عام (٣٤هـ) ، حتى وصلت أخبارها إلى المدينة ، فاستشار الخليفة فى أمرها ، فأشير عليها التحقق من هذه الأخبار ، فأرسل الرسل والكتب إلى الأمصار ، للتحرى عن أسباب شكوى أهل الأمصار والوقوف على الحقائق ، فلم يبلغ المبعوثون عن الأمراء إلا خيراً ، فطلب فى كتاب أهالى «الأمصار» بأن من تعرض لمظلمة فعليه أن يأخذ حقه مباشرة من خليفة المسلمين فى المدينة .

- وأرسل الخليفة إلى عماله بالأمصار يطلب منهم الحضور فى موسم حج سنة (٣٤هـ) فقدموا عليه ، وهم «عبد الله بن عامر، ومعاوية بن أبى سفيان، وعبد الله بن سعد بن أبى السرح، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص» وتشاوروا مع آخرين ، فأشاروا عليه جميعاً باستعمال الشدة ، وقتل الذين لاهم لهم إلا الدعاية وإذاعة الأكاذيب لحاجة فى نفوسهم ، فآثر اللين ، وأمرهم ألا يشتدوا على الناس ، ورد العمال إلى الأمصار ، ولم يأمر بشىء مما أشاروا به عليه .

ـ بعد رجوع الأمراء ، تكاتب السبئية ، المرجون للفتنة ، على أن تخرج وفود من الأمصار الثلاثة : «مصر ، الكوفة ، البصرة» ليذهبوا إلى المدينة مباشرة «لعثمان» ويناقشوه فى بعض الأمور ، لإشاعة البلبة ، وإشعال نار الفتنة ، فخرجت الوفود الثلاثة حتى قاربت المدينة .

ـ ثم استقبل الوفد مع جماعة من المسلمين بعد أن علم خبرهم ، ودافع عن نفسه وعن التهم الموجهة عليه ، التى منها أنه «أتم الصلاة وكانت لاتتم» وأنه «حمى الحمى» وأنه «جمع القرآن فى كتاب واحد وكانت كتباً» وأنه «استعمل الأحداث» و«أعطى أهل بيته وأعطاهم» ،ورد كل تهمة إلى أصلها الشرعى ، وبين لهم وجه الحق فيما قد يكون قد التبس عليهم .

ـ وماكان هذا الدفاع ليؤثر فى نفوس مريضة أعماها الهوى ، وطمس بصائرها الباطل، حتى حادت عن الطريق الحق ، وانحرفت عن سبل الرشاد ، ما كان يجدى فى هذا الموقف إلا أن يأخذ بنصح الناصحين المخلصين من الصحابة فيقتلهم ، ويجعلهم عبرة لغيرهم ، وسلفاً ومثلاً لمن وراءهم ، أو يحبسهم فى المدينة تحت رقابة شديدة حتى لا يمكنهم من الرجوع إلى مواطنهم للقيام بالدعايات الكاذبة ضده وضد عماله ، لكنه تسامح وصفح كعادته فرجعوا إلى أمصارهم يستعدون لجولة أخرى من جولاتهم .

. مقتل واستشهاد الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» (رضى الله عنه) ١٨/١٢/٣٥هـ:

ـ لما عاد «الثوار» إلى بلادهم ، تكاتبوا على أن يخرجوا من أمصارهم فى موسم حج سنة (٣٥هـ) ، كأنهم حجاج أو معتمرين ،

ثم يجتمعون فى المدينة للإنتهاء من أمر الخليفة ، وخرج فى شوال من نفس العام ، من «مصر» عدد يتراوح بين الستمائة إلى الألف ، يقودهم «الغافقى بن حرب العكى» ومعهم «عبد الله بن سبأ» ـ محرك الفتنة ، وخرج من «الكوفة» عدد مماثل بقيادة «عمرو بن الأصم» ومن البصرة عدد كذلك ، بقيادة «حرقوص بن زهير السعدى» ـ سوى من تلاحق بهم من الناس ، وكانت أهواء الأمصار مختلفة حول تنصيب خليفة جديد ، فأهل «البصرة» يريدون «طلحة بن عبيد الله» ، وأهل «الكوفة» يريدون «الزبير بن العوام» وأهل «مصر» يريدون «على بن أبى طالب» .

ـ عسكر الثوار قرب المدينة ، وجاء جماعة إلى «طلحة» وأخرى «للزبير» وأخرى «لعلى» كلٌ يعرض الأمرة لصاحبه ، فردوهم رداً عنيفاً، وتظاهر الثوار بعدها بالعودة إلى الأمصار ، وظن «أهل المدينة» أن الخطر زال ، ولكن «الثوار» باغتوا «المدينة» مكبرين فى أرجائها ، وأحاطوا بدار «عثمان» منادين من كف يده فهو آمن ، وقبضوا على ناصية الأمور بالمدينة ، وعاثوا فيها فساداً ، وحاولوا أن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة، فرفض أن يخلع قميصاً ألبسه إياه الله .

ـ ولزم جماعة باب ودار «عثمان» للدفاع عنه ، منهم «عبد الله بن عباس» وكان «على بن أبى طالب» ينافح عنه ، ويوبخ الثوار ، ويرشدهم إلى الله ورسوله ، وأرسل عثمان فى طلب النجدة من الأمصار ، وسمع الثائرون بقرب وصول النجدات ، فضيقوا الحصار على «عثمان» من جميع النواحى ، ومنعوه من الصلاة فى «المسجد النبوى» ومنعوا كل شىء يدخل إلى داره ، حتى الماء ليموت عطشاً .

ـ ولما جاء موسم حج سنة (٣٥هـ) لم ينس الخليفة واجبه

كخليفة، فصعد على سطح داره ، ونادى «عبد الله بن عباس» ليخرج أميراً على الحج ، وكتب له كتاباً يقرأه على المسلمين فى الموسم ، ويعلمهم بما هو فيه .

ـ وانتهز الثوار فرصة خلو «المدينة» من أهلها ، وشاع بينهم أن الإمداد قد اقترب من المدينة ، وأحسوا بالخطر ، فوجدوا أن قتل الخليفة كافيا لانشغال الناس عنهم ، فحاولوا اقتحام الدار ، فمنعهم «الحسن بن على ، وعبد الله بن الزبير ، ومحمد بن طلحة ، ومن معهم» فأحرقوا أبواب الدار ، ومنهم من تسور الدار من دار المجاورة ، فلما رأى الخليفة ذلك استسلم لقضاء الله ، وطلب ممن يدافع عنه الانصراف وعدم القتال ، وتقدم «الغافقى بن حرب» ـ لعنه الله ـ وضرب الخليفة بحديدة كانت معه ، وجاء «سودان بن حمران» ـ لعنه الله ـ ليضربه بالسيف ، فأكبت «نائلة» زوج الخليفة عليه ، واتقت السيف بيدها فقطع أصابعها ، ثم توالت الضربات على الشيخ الكبير ، وهو مكب على كتاب الله لا يتحرك حتى قتل فى (١٨من ذى الحجة سنة ٣٥هـ) ، وسال دمه الطاهر على المصحف الشريف ، ثم انتهب القتلة ما فى البيت ، وأتوا بيت المال فأخذوا ما فيه ، وعاثوا فساداً .

ـ وبذلك تكون مدة خلافته ـ رضى الله عنه ـ اثنتى عشرة سنة إلا اثنتى عشر يوماً ، وقد بقى ـ رضى الله عنه ـ ثلاثة أيام من غير دفن ، ثم دفن ليلاً فى غفلة من خصومه فى (٢١ من ذى الحجة سنة ٣٥هـ) .

ـ لقد كان رحمه الله تعالى آية فى الرحمة ، ومثلاً فى الحرص والخوف على مصلحة المسلمين ، ورغب أن يلقى الله ولم يهرق قارورة من الدم ، وآثر أن يقدم روحه فداءً لهذه الفتنة ، ووقوداً لتلك المؤامرة ،

وبلغ حداً من السمو والإيثار لا نظير له ، ورأى حبيبه المصطفى ـ ﷺ ـ فى النوم يوم مقتله ، وقال له : «ياعثمان أفطر عندنا» فأصبح صائماً ، وقتل فى هذا اليوم صابراً محتسباً ، ومضى إلى ربه نموذجاً خالداً فى سجل التاريخ .

ـ فسلام الله على عثمان فى الأولين ، وسلام عليه فى الآخرين ، وسلام عليه إلى أن يفصل الله بين عباده ، ويلقى كل امرىء جزاءه يوم الدين[1] .

* * *

(١) لمزيد من تفاصيل شخصية وعصر الخليفة الثالث «عثمان» ينظر من المصادر والمراجع الآتية : الماوردى : الأحكام السلطانية ، ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، الكامل فى التاريخ، ابن حجر: الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ابن كثير : البداية والنهاية ، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، الذهبى: سير أعلام النبلاء ، الحنبلى: شذرات الذهب ، ابن الجوزى : صفة الصفوة ، ابن العربى: العواصم من القواصم، ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ، ابن خلكان: وفيات الأعيان .

وراجع للمزيد فى المراجع التالية: د. محمد الخطيب: الخلفاء الراشدون ، د. محمد على الصلابى: عثمان بن عفان شخصيته وعصره ، د. إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، رفيق العظم : أشهر مشاهير الإسلام ، الخضرى : إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ، محمد السيد الوكيل: جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين ، محمد بن صامل: الخلافة والخلفاء الراشدون، حسن أيوب : الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، محمد رشيد رضا : ذو النورين عثمان بن عفان ، أحمد الخروف : شهيد الدار عثمان بن عفان (دار البيان) ، عبد الستار الشيخ : عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر . . .

الخليفة الرابع
«علي بن أبي طالب» رضي الله عنه
(٣٥ق.هـ/٦٥٦-٦٦١م):

حياته وصفاته:

- هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وأمه «فاطمة بنت أسد بن هاشم» فهو هاشمي من جهة الأب والأم .

- ويكنى «بأبي الحسن وبأبي تراب» ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته «فاطمة الزهراء» - سيدة نساء العالمين - (رضي الله عنها) ، وانجبت له «الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم» - رضي الله عنهم أجمعين -.

- ولد رضي الله عنه سنة (٢٣ قبل الهجرة) ، وهو أصغر من الرسول (ﷺ) بثلاثين عاماً ، ونشأ في بيت النبوة ، وتحت رعاية النبي (ﷺ) .

- ولما نزلت الرسالة على النبي -ﷺ- كان علي من السابقين للإسلام ، وهو أول من أسلم من «الصبيان» ، ولم يسجد في حياته لصنم قط ، ولم يعرف وثنيه ، فقيل لذلك عنه (كرم الله وجهه) .

- يسجل له التاريخ من مواقفه العظمى ، أنه بات على فراش النبي -ﷺ- ليلة الهجرة ، ليسلم الودائع والأمانات ، ويفدى نفسه عن رسول الله (ﷺ) .

- وبعد الهجرة إلى المدينة فاز بشرف المؤاخاة مع رسول الله -ﷺ- وشهد على - كرم الله وجهه - جميع الغزوات مع الرسول (ﷺ) ماعدا غزوة تبوك ، لأن النبى استخلفه على المدينة فى أهله .

- وكان - كرم الله وجهه - مضرب المثل فى الشجاعة ، وله فى ذلك الآثار المشهودة ، وأعطاه النبى (ﷺ) اللواء فى مواطن كثيرة ، منها يوم «خيبر» سنة(٧هـ) ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد كتاب الوحى للرسول ﷺ - وقد أتم حفظ القرآن وعرضه على رسول الله - ﷺ- قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

- كما كان - رضى الله عنه - عالماً فصيحاً ، وقاضياً مجتهداً ، وكان رأيه هو الرأى إذا اشكلت الأمور ، والتبست الأحوال ، حتى قيل: «قضية ولا أبا الحسن لها» ، ولإخلاصه وعلمه كان الخلفاء يستشيرونه، فيقدم لهم الرأى والمشورة والنصيحة .

أهم الأحداث فى خلافته :

- وبعد مقتل الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» - رضى الله عنه - ظلت آثارها تتابع ، وذهب الثوار لعلى ليبايعوه فرفض مبايعتهم ، وبقيت المدينة بلا أمير ، وكان «الغافقى بن حرب» - زعيم الثوار - هو الذى يدير شئونها ، وأتباعه هم الذين يسيطرون على أمورها ، واستمر ذلك خمسة أيام .

- بعدما ذهب أهل المدينة الى «على بن أبى طالب» - كرم الله وجهه - وطلبوا منه أن يقبل الأمر ، فالفتنة عاتية ، والدولة الإسلامية بلا خليفة ، والأمر يتطلب من يجمع الشمل ، ويوحد الصف ، ويأسوا

الجرائم ، ويقيم الحدود ، ويرعى الثغور ، ويعيد للأمة هدوءها وصفاءها .

وتطلب الأمر أن يقبل «على» ـ رضى الله عنه ـ الخلافة فى هذه الظروف الحرجة وفى الأوقات العصيبة ، وبايعه من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ ـ وبايعه الثوار عن أمصارهم ، وذلك فى يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة سنة ٣٥هـ .

وبدأت فترة خلافة «على بن أبى طالب» فى مرحلة [illegible] من تاريخ الدولة الإسلامية [illegible] الفتنة [illegible] [illegible] أعداء الإسلام كل ما [illegible] [illegible] والتضليل و[illegible] الغرضة .

[illegible] لأجل [illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible] المتعددة التى [illegible] الصحابة [illegible] مع [illegible]

وبدأ [illegible] يواجه مهامه ، ومسئولياته [illegible] [illegible] ودخل عليه «طلحة والزبير» ـ رضى الله عنهما ـ فى عدة من الصحابة وطلبوا منه القصاص من قتلة عثمان ، ولكن كيف يتصرف وقتلة عثمان يسيطرون على المدينة ، ويمثلون القوة المتحركة فيها ، والقوة المتحكمة فى سير الأحداث بها ، إنهم عشرة آلاف ، ومواجهتهم فى هذا الوقت ليس بالأمر السهل ، ورأى على ـ رضوان الله عليه ـ الإنتظار والتريث حتى تهدأ الفتنة ، وتستقر الأمور ، وبذلك

الخليفة زمام الأمور فى يده ، وتستعيد الخلافة هيبتها ، فالأمر فوق طاقته وإمكانه فى ذلك الوقت .

ـ أسرع على ـ رضى الله عنه ـ فعزل ولاة الأمصار جميعاً باعتبار أن بعضهم كان محلاً للنقض ، وسبباً لشكوى الناس وتذمرهم ، ولم يصغ لنصح الناصحين «كعبد الله بن عباس ، والمغيرة بن شعبة» بأن يقر عمال عثمان ـ رضى الله عنه ـ على أعمالهم حتى يستقيم له الأمر ، ويستقر الوضع ، وتأتيه طاعة الأمصار ، ثم يعزلهم بعد ذلك ، لكنه رفض .

ـ ثم اختار عماله على الأنصار ، فأرسل إلى البصرة «عثمان بن حنيف» وارسل «سهل بن حنيف» إلى الشام بدلاً من معاوية ، وارسل «قيس بن سعد» إلى مصر بدلاً من «عبد الله بن أبى سعد ابن أبى السرح» وأرسل إلى «الكوفة» «عمارة بن شهاب» وإلى «اليمن» «عبد الله بن عباس» واختار لمكة «خالد بن العاصى بن هشام» ، وسار العمال إلى أقاليمهم ، فأما أهل البصرة فقد رضوا بعامل على ، وأما أهل مصر فافترقوا جماعة انضموا لوالى علي ـ رضى الله عنه ـ وجماعة لم تبايع حتى يُقتص من قتلة عثمان ، وتحصنو فى خربتا (بمحافظة البحيرة فى مصر) ، وتولى والى على فى اليمن ولايته ، بينما قوبل عمال «على» عند حدود «الكوفة والشام» بما ألجأ كل منهما إلى الفرار والعودة لعلى ، بينما رفض أهل مكة ولاية عامل «على» وبقيت دون وال ، ولكل مجموعة رجل يرجعون إليه لبعض الوقت حتى جاء «قثم بن العباس» واليا عليها ، واستمر واستتب له الأمر .

ـ وفى «الشام» تبنى «معاوية بن أبى سفيان» ـ والى الشام ـ نداء

القصاص من قتلة عثمان ، ورفض أن يعزل نفسه حتى ينتقم علىٌ من قتلة عثمان أولاً ، ورفض مبايعة علىّ ، وأداه اجتهاده أن تُقدم الحدود ، ويُقتص من قتلة عثمان قبل أخذ البيعة أولاً ، وربما رأى أن المصلحة تقتضى أن لا يترك الشام لأن الروم لذلك بالمرصاد .

ـ وبينما «على بن أبى طالب» ـ رضى الله عنه ـ يفكر فى أمر معاوية ـ رضى الله عنه ـ وصلته الأخبار بخروج «طلحة والزبير» ومعهما السيدة «عائشة» ـ رضى الله عنهم ـ الى «البصرة» ، وكانت أنباء مقتل «عثمان» قد وصلت السيدة عائشة وهى فى طريقها من مكة إلى المدينة ، وربما ظنت السيدة «عائشة» أن أهل المدينة ـ الذين بايعوا «على بن أبى طالب» ، قد تهاونوا فى الدفاع عن الخليفة المقتول وحمايته حتى وقع ما وقع ، وكان «طلحة والزبير» قد استأذنا عليا فى الخروج إلى «مكة» لأداء العمرة، فأذن لهما ، فوصلاها وانضما إلى نداء «أم المؤمنين» فى المطالبة بالقصاص من قتلة «عثمان» .

ـ أرسل «على بن أبى طالب» ـ كرم الله وجهه ـ رسولاً من عنده، هو «القعقاع بن عمرو التميمى» ـ رضى الله عنه ـ لمناقشتهم ، وتوضيح الأمر لهم ، فقالوا : «أرسل إلينا علياً نتصالح» ، فقرر «على» الخروج من فجر ذلك اليوم ليعقد الصلح مع «طلحة والزبير» ، وكل ذلك يوضح رغبة الصحابة جميعاً فى إجتماع الشمل ، ووحدة الكلمة ، والمصلحة العليا ، ولو أن الأمور انحصرت فيهم ، لوصلوا إلى رأى واحد ، لكن المتآمرين فى الساحة يخططون ويعكرون الجو ، ويدفعون بالأمور نحو طريق آخر .

ـ فما زال «ابن سبأ» ـ زعيم المؤامرة والمنظر الفكرى لها وعقلها

المدبر ـ يرى أن وحدة الصف الإسلامى تعنى القضاء على رموز الفتنة والمؤامرة ، ووجد أن الصلح بين «على» ـ كرم الله وجهه ـ و«طلحة والزبير وعائشة» ـ رضى الله عنهم ـ يعنى قرب نهايتهم ، ووقوع القصاص عليهم . فأراد للفتنة أن تتواصل وللخلاف أن يستمر .

ولما وصل «على» واتفق على إبرام الصلح ، وبات الجميع على الصلح ، وبات «الثوار» ـ قتلة عثمان ـ بشر ليلة ، وتشاوروا أمرهم ، حتى اجتمعوا على إنشاب القتال فى السر بأى شكل ، فغدوا مع الغُلس، ما يشعر بهم جيرانهم انسلوا لإنشاب الحرب السلاح ، فخرج مضريهم إلى مضريهم ، وربيعهم إلى ربيعهم ، ويمنهم إلى يمنهم ، فوضعوا فيهم السلاح .

ـ ولم يطلع نهار يوم الخميس فى النصف الثانى من جمادى الآخرة سنة (٣٦هـ) ، إلا كانت المعركة قد دارت على أشدها ، وإذا القتل يشتد والرؤوس تتطاير ، وقلب «علىّ» ـ رضى الله عنه ـ ينزف من كل قطرة دم مسلم ، وكان ينادى فى الناس : «كفوا عن القتال» ، ينادى «طلحة» ويناشد «الزبير» بوقف القتال ، وعندما همَّ «طلحة» بالخروج من المعركة ، إذا بواحد من أصحاب الفتنة يأخذ سهماً ويقتل «طلحة» ـ رضى الله عنه ، وعندما أدار «الزبير» عنان فرسه وخرج من المعركة ، لقيه «عمرو بن جُرموز» ـ أحد قتلة عثمان ، قتله بين مكة والعراق ، وأرسلت «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ كعباً يتقدم بكتاب الله يدعو الناس إليه ، لكن السبئية رشقت كعباً ، فقتلوه ، ورموا عائشة فى هودجها ، فتقول : «يابنى البقية البقية ، الله الله ، واذكروا الله عز وجل والحساب» ، لكن السبئية تأبى إلا مواصلة القتال ،

رضى الله عنها ـ : «أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم» وأقبلت تدعو ، وضج أهل البصرة بالدعاء ، وأقبل «علىٌّ» ـ رضى الله عنه ـ عندما سمع الدعاء ـ يدعو ويقول : «اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم»

ـ إن الفتنة مخططة ، وإن المؤامرة تحاك ، وأبطالها يعملون من وراء ستار بقيادة «عبد الله بن سبأ» ـ لعنه الله ـ وما أرادوا لها نهاية ، فحرض «ابن سبأ» أشياعه على قتل السيدة «عائشة» فبدءوا هجوماً على هودجها ، فما كان من «على» ـ كرم الله وجهه ـ إلا أن أمر أربعين شاباً من شبان الصحابة ، التفوا حوله ، حتى انتهت المعركة .

ـ على هذه الصورة المؤلمة انتهت «موقعة الجمل» (سنة٣٦هـ) ، وهى أول حرب (أهلية) ـ تقع بين المسلمين ـ وقتل فيها صحابيان هما «الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله» وغيرهما ، واختلف الرواة فى عدد القتلى ، فالمقل يقول عشرة آلاف ، نصفهم من أصحاب على ، ونصفهم من أصحاب الجمل ، والمكثر يقول : كان القتلى من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً ، ومن أصحاب على خمسة آلاف .

ـ وكان لهذة الوقعة نتائج بعيدة الأثر ، فقد أوقفت تقدم الزحف الإسلامى إلى حين ، وجعلت المسلمين يقتتلون فيما بينهم ، وعادت نغمة العصبيات التى جاء الإسلام ليمحوها ، وبقيت مقصد كل طاعن ومشكك وغامز فى تاريخنا الإسلامى ، والصحابة الكرام (رضوان الله عليهم أجمعين) .

ـ على كلٍ فقد انتهت المعركة ، وأخذ «على» ـ كرم الله وجهه ـ «أم المؤمنين» إلى بيته ، ثم جيش معها أربعين جندياً ، وجهزوها بكل

شيء ينبغى لها من مركب وزاد ومتاع ، وخرج الناس لوداع أم المؤمنين، وخرج «علىّ» لوداعها ، وما قالته عند وداعها عن «على» كرم الله وجهه: «وإنه عندى على معتبتى من الأخيار» ، وقال عنها : «إنها لزوجة نبيكم (ﷺ) فى الدنيا والآخرة» وخرجت بموكبها يوم السبت غرة رجب ، سنة ست وثلاثين للهجرة ، وشيعها الخليفة أميالاً ، وسرح بنيه معها يوماً ، وأرسل معها أخاها «محمد بن أبى بكر» ـ رضى الله عنهما ـ إلى المدينة بحماية أربعين جندياً ، فلما وصلت إلى دارها ، علمت أن الجنود الذين كانوا معها كانوا كلهم من النساء ، اختارهن «علىّ» ـ رضى الله عنه ـ حرمة لرسول الله ﷺ فأطرقت رأسها ، وقالت : «ما ازددت والله ياابن أبى طالب إلا كرماً» .

ـ لقد أرادت رضى الله عنها تجنب القتال ، لكن الأمر خرج من يدها إلى الغوغاء ، شأنها فى ذلك شأن «علىّ» (رضى الله عنه) ، وحقيقة أحداث «موقعة الجمل» تقع مسئوليتها على الذين دفعوا الأمور إلى ما وصلت إليه من حرب وقتال بعدما أشرف الفريقان على الصلح ، والصحابة جميعهم أرادوا الخير والإصلاح واجتهدوا ، وكل منهم كان ينبغى الإصلاح ورتق الفتق، وإن اختلفت الوسائل وتعددت الطرق ، وهم أعلم بما دخلوا فيه هنا ، نتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه ، ،لا نبتدع رأياً منا ، وتلك دماءً طهر الله أيدينا منها ، فلا نخضب بها السنتنا ، ولا ينبغى أن نتحامل على أحد منهم ، بل نكف عما شجر بينهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(الحشر ١٠) .

- عقب هذه الموقعة انتظم «لعلى» أمر «العراق» بمصرية «البصرةوالكوفة» ، ومصر ، واليمن ، والبحرين ، وعمان واليمامة ، وفارس ، وخراسان والحجاز ، وأما «الشام والجزيرة وثغورها» فقد كانت فى حوزة «معاوية» الذى رفض البيعة لعلى ، وارتحل «على» إلى الكوفة، وجعلها مقراً لحكومته ، لأن فيها أنصاره ، ولقربها من الشام ، وبدأ يحول إهتمامه إلى «الشام» لانحصار النزاع بينه وبين «معاوية» وحجته أنه إمام ينبغى له الطاعة والبيعة ، وعلى معاوية أن يعتزل الحكم، وحجة «معاوية» أن عليا آوى قتلة عثمان ، ولا يرضى بأقل من إقامة القصاص عليهم ، ودارت المراسلات بين الفريقين ، وبدا أنه ليس للمواجهة بد ، فحكموا السيف ، وهو حكم لا يبالى بالحق كثيراً .

- خرج «علىّ» الى الشام فى تسعين ألف مقاتل ، آخر شوال سنة(٣٦هـ) بعد أن أعذر إلى معاوية ، وخرج «معاوية» قاصداً العراق فى عدد قريب من جيش «على» ، والتقى الفريقان فى «صفين» ، وتبودلت البعوث والرسائل أول الأمر فلم يجديا شيئا .

***

فبدأت الحرب بين الجيش فى ذى الحجة سنة (٣٦هـ) ، بمناوشات ومبارزات فردية لم تصل الى حد الحرب الجماعية الشاملة ، فلما دخل المحرم من سنة (٣٧هـ) ، توقف القتال ، وجرت محاولات اخرى للتفاهم وجمع الصف ، ولما فشلت محاولات التفاهم ، ازداد التوتر بين الفريقين ، ودارت رحى الحرب العنيفة بين الفريقين فى أول صفر سنة (٣٧هـ) ، وفى اليوم السابع قُتل «عمار بن ياسر» من جيش على ، ورأى جند

على سلامة موقفهم وموقف على بعد مقتل «عمار» الذى قال فية النبى - عليه السلام «تقتل عماراً الفئة الباغية » ، لكن معاوية أسرع قائلاً لجنده : «إنما قتل عماراً من جاء به وإنما دافعنا عن أنفسنا » .

استمرت المعركة ، فطفىء معها نور العقل والحكمة ، وكان أقسى أيامها هو ليلة الجمعة (١٠ صفر ٣٧هـ) ، وعندما أصبح النصر قاب قوسين أو أدنى لجند على ، إذ بمعاوية وجنده يرفعون المصاحف، وينادون هذا كتاب الله ليحكم بيننا وبينكم ، فقال «على» :«ويلكم أنا أعلم بما فى كتاب الله ، والله ما رفعتموه إلا خوفاً منى » ثم أمر جنده بمتابعة القتال ، ولكن قتلة عثمان ـ فى جيش على ـ عادوا فنقضوا البيعة لعلى بن أبى طالب فى هذه اللحظه الحاسمة ، وقالوا: «أجب كتاب الله إذا دعيت إليه » فأفهمهم أنهاخدعه فلم يرتضوا ، وأرغموه على وقف القتال وقبول التحكيم،رأى «على» أن يمثله فى التحكيم «عبد الله بن عباس » لكن قتلة عثمان رفضوا ، فرشح قائد جنده «الأشتر النخعى » فرفضوا أيضا ، وأرغموه على اختيار « أبو موس الأشعرى »، بينما اختار أصحاب معاوية « عمرو بن العاص » ممثلاً لهم .

اتفق الطرفان على تحكيم كتاب الله بينهما ، والسنة النبوية العادلة الجامعة غيرالمفرقه ، وأن يقف القتال ويأمن الناس على أنفسهم وأهليهم وأموالهم حتى الفصل فى القضيه ، ويشهدا من أرادا على صحيفه التحكيم ، وأن يجتمع الطرفان (الحكمان) فى

رمضان من نفس السنة (٣٧هـ) بدومة الجندل ، وأن يرسل كل من « على ومعاويه»ـ رضى الله عنهما ـ أربعمائة من الاتباع والأصحاب ليشهدوا ما يتم الاتفاق عليه .

وهكذا انتهت موقعة «صفين» دون تحقيق نصر عسكرى لأى من الفريقين ، بعد أن قتل فيها عدد كبير من المسلمين ، المكثرون يرفعونه الى «مائة ألف وعشرة آلاف» ـ من أهل الشام تسعون ومن أهل العراق عشرون ـ والمقلون ينزلون بالعدد الى سبعين ألفا ـ من أهل الشام خمسه وأربعون ، ومن أهل العراق خمسه وعشرون ومهما يكن العدد ، فهو كبير ضخم ، لم يخسر المسلمون مثله أو قريبا منه فى جميع معاركهم منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى حدوثها .

بعد قبول التحكيم ، عادت الفتنة مرة أخرى ، فقد خرج «السبئيون» ـ قتلة عثمان عن طاعة على ، وأصبحوا يعرفون «بالخوارج»، وبالرغم من أنهم أشاروا بالتحكيم ، واكرهو عليا على قبوله ، فقد صاروا يقاتلونه لأنه قبل التحكيم ، وقالوا: « لاحكم إلالله سبحانه » ولما أذن مؤذن «علىّ» للرحيل من صفين ، لم يدخل الخوارج «الكوفة» وانما انحازوا الى قرية بظاهرها تبعد عنها بميلين ، تسمى «حروراء» وكانوا يبلغون نحو اثنى عشر ألفا ، فنسبوا إليها ، وقيل لهم «حرورية» . وعرفوا كذلك «بالشراة والمحكمة» . وعزّعلى أمير المؤمنين أن ينفصل هؤلاء عن جيشه ، وأرسل إليهم «عبد الله بن عباس» ليناظرهم ويحاورهم بنفسه وناظرهم ، فأطاعوه ودخلوا الكوفه، ثم

سرعان ما طالبوه بالرجوع عما ابرمه مع أهل الشام ، فرفض ذلك وفاء بالعهد والميثاق ، فغضبوا ورددوا :«لاحكم إلا الله» فقال لهم :«كلمة حق يراد بها باطل».

وعندما جاء أوان التحكيم واجتمع الحكمان فى «دومة الجندل»، واتفقا على خلع «معاوية وعلى» وأن يعود الأمر شورى ، بعد ذلك يختار أعيان الصحابه من يرونه أهلاً لهذا الأمر ، أما الروايات التى ذكرها المؤرخون وتذكر غفلة أبى موسى الأشعرى ، وغدر «عمرو بن العاص» فليست صحيحة.

أصبح الخوارج لايعترفون بعلى ولا بمعاوية ، وعينوا عليهم «عبد الله بن وهب»، وكان موقف «على» منهم قوله:«ان سكتوا عنا تركناهم ، وان تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم»، لكنهم بدأوا يعيسون فى الأرض فسادا، كان منهم أن قتلوا «عبد الله بن خباب بن الأرت»ـ لأنه مدح عليا ، ولان أباه فى معسكر «على» «وعلى» فى نظرهم أصبح «كافرا». فذبحوه وبقروا بطن زوجه ، ولما طالبهم «على» بقتلته ليقتلهم فيه، قالو:كلنا شركاء فى قتله ، بل طالبوه أن يشهد على نفسه بالكفر حتى يعودوا إليه ، فكان لابد لعلى منهم قبل التوجه إلى الشام ، وقبل قتالهم حاورهم ، فمنهم من أطاع ، ومنهم من عصى ، فقاتلهم فى معركة حاسمة عرفت «بمعركة النهراوان» سنة(٣٨هـ)، وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً. عقب هذه المعركة استعد «على» للتوجه لحرب «معاويه» إلا أن جنده خذلوه، وتقاعسوا عن الخروج معه ، وتسللوا من معسكره فى «الكوفة»،

ووجد «عليٌ» الباقي معه حوالى ألف رجل ، فعاد الى «الكوفة» وهو يسأل الله أن ينقذه من أشباه الرجال ولا رجال ، بينما استطاع «معاوية بن ابى سفيان» ـ أقتطاع أجزاء كبيرة من أقاليم الدولة التى كانت تابعة لعلى، «كمصر والحجاز واليمن»، واقتصرت سيطرة «على» على بلاد العراق وفارس دون غيرهما .

استشهاد الخليفة على بن أبى طالب (رضى الله عنه) :

وبينما كان «علىّ»ـ رضى الله عنه ـ يواجه هذه الأوضاع الصعبة، والظروف الحرجة ، اجتمع عدد من الخوارج ، وتذاكروا ما آل اليه أمر المسلمين ، كما تذكروا قتلاهم يوم «النهراوان» فثارت بهم الحمية ، ورأوا أن «على بن أبى طالب» و «معاوية بن أبى سفيان» و«عمرو بن العاص» من أسباب ـ بلاء الأمه ـ حسب رأيهم ـ لذا قرروا التخلص منهم ، وأن يكون موعدهم لتنفيذ الخطة صلاة الفجر من يوم ١٧رمضان سنة(٤٠هـ) . وجاء اليوم الذى اتفقوا عليه ، فأما «معاوية» فأصابه يومها «البرك ابن عبد الله» فى إليته ، فنجا بعد مداوة ، وأما «عمروبن العاص» فلم يخرج يومها للصلاة لمرض أصابه ، وكلف مكانه صاحب الشرطة «خارجة بن حذافة» فجاء «عمرو بن بكر التميمى» فقتل خارجه ، فكان مما قال: «أردت عمراً وأراد الله خارجة» فصارت مثلا . وشاءت الأقدار أن يضرب «عبد الله بن ملجم»ـ لعنه الله ـ بسيفه المسموم «على بن أبى طالب»، فقتله وفاضت روحه إلى بارئها فى (١٧رمضان سنة٤٠هـ)، وغسله «الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر» وكفن

وكثرت الروايات حول دفنه ، الأمر الذى جعل قبره مجهول المكان ، ولا سند صحيح لمن يقول أن قبره بالنجف من العراق. ومهما قيل بحق «على»، فإن إخفاقه كان مرجعه أنه راشدى فى عصر أقلقه الاضطراب الذى كان يضرب كل جنباته ، بسبب الفتن والمؤامرات التى تزعمها «ابن سبأ»، وهى الفتن التى راح ضحيتها ثلاثه من الخلفاء ، ووقع بسببها المعارك الضاربة فى «جمل ، وصفين ، ونهراوان» ، وانتجت الى يومنا هذا «سنة وشيعة وخوارج. . .» ، وأوقفت انتشار الدعوة الإسلامية لمدة ليست باليسيرة، وأزهقت أرواح آلاف من المسلمين فى غير الميدان الذى كان ينبغى أن تزهق فيه. وبعد مقتل «على بن أبى طالب» بايع بعض الشيعة ابنه «الحسن بن على» ، ولأن «الحسن» كان قد عاصر المشكلات التى عاناها أبوه من قبل ، وعرف «الحسن» أن أباه لم يستطع أن يتغلب عليها ، كما كان «الحسن» بطبيعته ميالاً الى السلم ، فرأى حقن دماء المسلمين ، وتحقيق رجاء جده (صلى الله عليه وسلم) حين قال : «أيها الناس إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». لهذا مالبث «الحسن» حتى تبادل الرسل مع «معاوية» فى شأن تسليم الأمر الى «معاوية» ومبايعته بالخلافه على شروط حدداها عند اجتماعهما بالكوفة فى ربيع الأول من عام (٤١هـ) ، وقد سمى هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع المسلمين على خليفه واحد ، هو «معاوية بن أبى سفيان» ـ رضى الله عنه ـ ، عاد «معاوية» بعد ذلك إلى «دمشق» حيث اتخذها عاصمة للخلافة بعد أن كانت عاصمة إمارته ، وعاد «الحسن» وأسرته إلى

«المدينة المنورة» وبقى بها حتى توفى سنة (خمسين أو إحدى وخمسين للهجرة) (١).

وهكذا انتهى عصر الخلفاء الراشدين ، وانتهت مدة الخلافه الراشدة ، التى سارت على نهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبدأ عصر جديد فى التاريخ الإسلامى، هو «عصر الدولة الأموية» من سنة (٤١هـ) - وسبحان من بيده مقاليد الأمور، وتصاريف الأحوال، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) للمزيد عن حياة وعصر وشخصية الخليفة الرابع «على بن أبى طالب» ، ينظر من المصادر والمراجع فى هذا الموضوع : ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، الذهبى : تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، منهاج السنة النبوية ، الوصية الكبرى ، أبو بكر العربى : العواصم من القواصم ، الأصفهانى : حلية الأولياء ، السيوطى : تاريخ الخلفاء، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، الذهبي : سير أعلام الإسلام ، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ، نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، النسائى : خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب، . .

وللمزيد ينظر فى المراجع التالية : د. محمد الخطيب : الخلفاء الراشدون ، د.على الصلابى : سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، عباس العقاد : عبقرية على ، مجدى فتحى السيد : صحيح التوثيق فى سيرة على بن أبى طالب ، محمد رشيد رضا : الإمام على بن أبى طالب ، محمود المصرى : أصحاب الرسول ، الزركلى : الأعلام ، الخضرى : إتمام الرفاء ، محمد السيد الوكيل: جولة تاريخية فى عصر الخلفاء الراشدين ، سليمان العودة : عبد الله بن سبأ وأثره فى إحداث الفتنة فى صدر الإسلام (ط الرياض) ، عبدالوهاب النجار ، الخلفاء الراشدون ، أكرم العمرى : عصر الخلافة الراشدة ، . . . .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ـ الإهداء	٣
ـ المقدمة	٥
ـ أهمية الثقافة التاريخية	٧
أولاً: الدولة الإسلامية في عهد النبي (ﷺ)	١٩
أ ـ الجاهلية العربية قبل الإسلام :	١٩
١ ـ الحياة السياسية	١٩
٢ ـ الحياة الدينية	٢٠
٣ ـ الحياة الاجتماعية	٢٢
٤ ـ الحياة الثقافية	٢٣
٥ ـ الحياة الاقتصادية	٢٤
ب ـ النبي ـ عليه السلام ـ من الميلاد إلى البعثة :	٢٥
أولاً : مرحلة الطفولة إلى الصبا	٢٦
ثانيا : من الصبا حتى الشباب	٢٧
ثالثا : حياة الشابا حتى البعثة واكتمال الرجولة	٢٩
ج ـ النبي ـ عليه السلام ـ من البعثة حتى وفاته :	٣٠
ثانيا: عصر الخلفاء الراشدين:	٣٦
ـ بعد وفرة النبي	٣٧
ـ مؤتمر الثقيفة	٣٧
أبو بكر الصديق «رضى الله عنه» الخليفة الأول (١١-١٣هـ)	٤٠
• حياته فى الإسلام	٤١
• أبرز أعماله «رضى الله عنه»	٤١
• مرض أبى بكر واستخلافه لعمر .	٤٤

الموضوع	الصفحة
.الخليفة الثانى : عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ١٣ ـ ٢٣هـ .	٤٦
• حياته فى الجاهلية والإسلام .	٤٦
• منهج عمر فى الحكم	٤٧
• أهم أعمال عمر (رضى الله عنه)	٤٩
• الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب	٥١
أولا : الفتوح فى العراق وفارس	٥١
ثانيا : الفتوح فى الجبهة الرومية	٥٣
• خاتمة الفاروق (رضى الله عنه) ٢٣هـ	٥٦
.الخليفة الثالث : عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ٢٣ ـ ٣٥هـ .	٥٨
• حياته وصفاته	٥٨
• أهم أعمال عثمان بن عفان(رضى الله عنه)	٦٠
• الفتوحات فى عهد عثمان بن عفان (رضى الله عنه)	٦٠
• الفتنة فى عهد عثمان بن عفان (رضى الله عنه)	٦٣
• مقتل واستشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفان	٦٧
ـ الخليفة الرابع : على بن أبى طالب (رضى الله عنه)٣٥ ـ ٤٠هـ :	٧١
• حياته وصفاته	٧١
• أهم الأحداث فى خلافته	٧٢
• استشهاد الخليفة على بن أبى طالب (رضى الله عنه)	٨٣